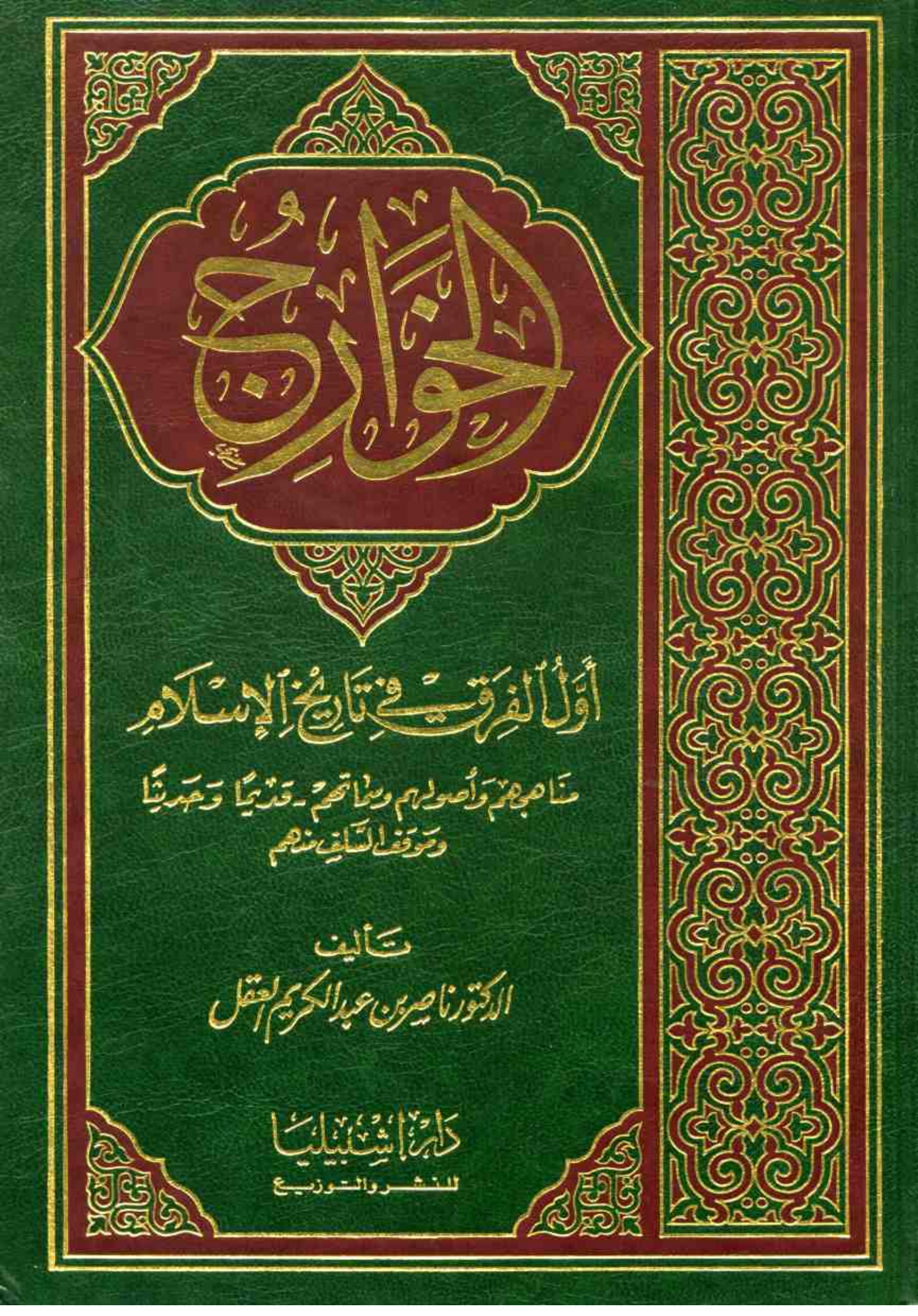
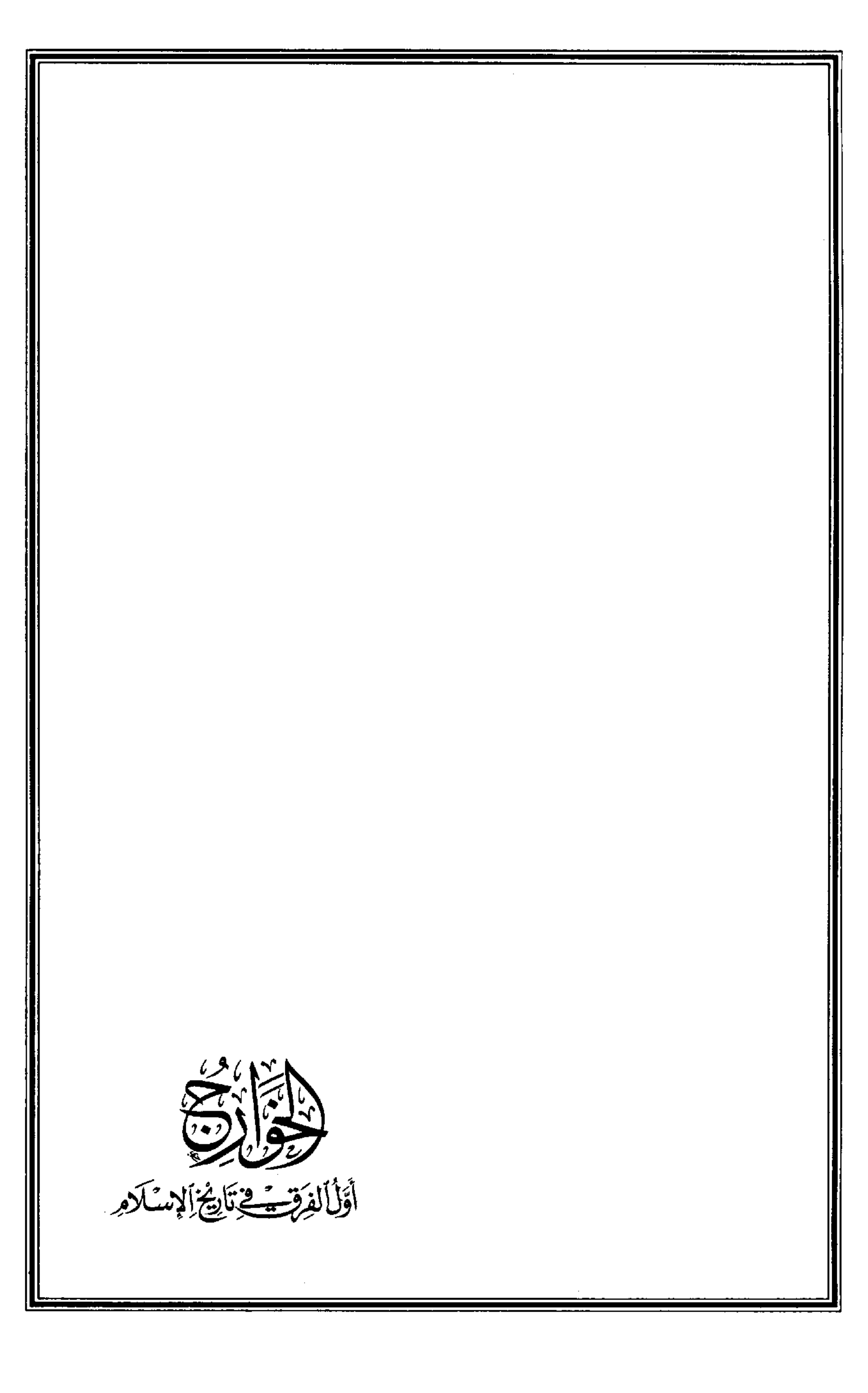

الخوارج
أول الفرق في تاريخ الإسلام
مناهجهم وأصولهم وسماتهم - قديماً وحديثاً
وموقف السلف منهم
تأليف
الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل
دار إشبيليا
للنشر والتوزيع


الخوارج
أول الفرق في تاريخ الإسلام

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

دار إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - ص.ب: ١٣٣٧١ - الرياض: ١١٤٩٣

هاتف: ٤٧٩٤٣٥٤ - ٤٧٤٢٤٥٨ - فاكس: ٤٧٧٣٩٥٩



مناهجهم وأصولهم وسماتهم - قديمًا وحديثًا
وموقف السلف منهم

تأليف

الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل

دار إشبيليا
للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدّمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلّه إلاَّ الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

[سورة آل عمران، الآية: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾

[سورة النساء، الآية: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١].

أمّـا بـعـد:

فهذه هي الحلقة الرابعة من سلسلة (رسائل ودراسات في الأهواء والافتراق والبدع وموقف السلف منها).

وقد جعلتها في إحدى أول الفرق ظهوراً في تاريخ الإسلام: (الخوارج) نشأتها وأصولها وسماتها ونماذج من موقف السلف منها وألحقت بها إحدى فرق الخوارج القديمة التي لا تزال باقية. ثم نبْذة عن بعض الخوارج المعاصرين وسمات الخوارج ونزعاتهم في العصر الحديث.

أما تفصيلات الأحداث والعقائد والمقالات والأطوار الخاصة بهذه الفرق فليست من اهتمامي في هذه الدراسات لأن المقصود هو التحذير من سبيل الهالكين، وكشف مناهجهم ومسالكهم وسماتهم وأصولهم إجمالاً والوقوف عند مواطن العبرة والعظة في أحوالهم للتحذير من الوقوع فيها عافانا الله منها.

وتتأكد ضرورة ذلك ــ أعني التحذير من ضلالات هذه الفرق ــ بأنها لا تزال موجودة بين ظهراني المسلمين، وتلبس على طائفة من شبابهم، وتدعو إلى بدعها، وتنتصر لها بكل الوسائل، وتسعى جادة إلى ما هو أعظم من ذلك؛ من الصد عن السنة وفتنة المسلمين. حتى تلكم الفرق التي يُظن أنها قد اندثرت فإنها لا تزال توجد تحت أسماء وشعارات أخرى، ولا تزال أصولها باقية، ولها دعاتها، واتجاهاتها وتراثها.

مع العلم أن كثيراً من العلماء وطلاب العلم قديماً وحديثاً قد قاموا بواجبهم ــ جزاهم الله خيراً ــ في الرد على هذه الفرق، وبيان خطرها وفساد عقائدها، لكني رغبت أن أسهم معهم بجهد المقل، لعل الله أن يكتبني مع المجاهدين في سبيله، فإن الذود عن الدين بالقلم واللسان نوع من الجهاد، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله.

هذا، وأسأل الله تعالى أن يعز دينه ويعلي كلمته، وينصر عباده الصالحين، وأن يبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعته ويذل فيه أهل الفسق والبدع، وأن يقيم علم الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يجمع كلمة المسلمين على الحق.

كما أسأله تعالى أن يغفر لي زلتي، ويتجاوز عن خطئي وتقصيري وإسرافي على نفسي وجميع المسلمين. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

وكتبه

ناصر بن عبد الكريم العقل

المبحث الأول

الخوارج الأولون

توطئة في
نشأة الفرق الأولى (الخوارج والشيعة)

سأتحدث هنا (في نشأة الفرق الأولى في تاريخ الإسلام)، عن مواطن العبرة، وما أرى أنه مفيد للناس اليوم، أما تفاصيل الأحداث فقد تحدثت عنها كتب التاريخ والسير والأدب والآثار ونحوها بما يكفي بل يزيد، حيث يعد أكثره من الغثاء والكذب، ومن وضع أهل الأهواء والثرثرة.

وعليه، فإني أقدم بين يدي الموضوع ـ حول موضوع نشأة الفرق الأولى ـ بتذكير القارىء الكريم الأمور التالية:

أولاً: لم يحدث في عهد النبي ﷺ، ولا في عهد أبي بكر وعمر وعثمان افتراق بين الأمة ألبتة، وما حدث بين الصحابة من اختلاف في بعض المسائل الكبرى ـ كموت النبي ﷺ ودفنه، وقصة السقيفة، وحروب الردة، وفي بعض مسائل الأحكام والفرائض ـ كانت كلها خلافات تنتهي بلا افتراق، كما ذكرت في الفصل الأول من «دراسات في الأهواء».

ثانياً: أول فتنة نتج عنها الافتراق في هذه الأمة، الفتنة على عثمان ـ رضي الله عنه ـ حيث أعقبت قتله، وتنازُعَ المسلمين بعده في مسائل عديدة ليس هذا موضع ذكرها.

ففي أثناء هذه الفتنة، وبين ثناياها خرجت طلائع الأهواء الأولى، وفارق أهل الأهواء (الخوارج والشيعة) المسلمين وأئمتهم؛ إما بالاعتقاد

والسيف، كما فعلت الخوارج وغالبية الشيعة؛ أو بالاعتقاد فقط، كما فعلت بعض طوائف من الشيعة والجهمية والمعتزلة والمتكلمة وأهل البدع.

ثالثاً: تعد الفرق الأولى (الخوارج والشيعة) امتداداً طبيعياً للثوار على عثمان، وهي السبئية الأولى، رغم ما بينها من تفاوت في العقائد والمناهج والسمات، إلا أنها من منبت واحد، وهكذا الفتن في كل زمان تنتج المتناقضات، وتنقلب فيها الموازين، وتختلط الأمور.

رابعاً: القاسم المشترك، والجامع بين أهل الأهواء في تلك الفتنة وما أعقبها من فتن هو: الخروج على أئمة المسلمين وجماعتهم، وكثيراً ما يكون ذلك تحت شعارات الإصلاح، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ودفع الظلم والجور، والغيرة على الدين، وعلى مصالح الأمة، مما يلتبس فيه الحق بالباطل والهدى بالهوى.

خامساً: غالبية أتباع الفرق الأولى (الخوارج والشيعة) يتميزون بالسمات التالية:

١ ـ أن أغلبهم من حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، قليلي العلم والفقه، والذين لم يتربوا على أيدي أهل العلم والفقه والقدوة.

٢ ـ أغلبهم ممن فيهم عاطفة دينية وغيرة، بلا علم ولا فقه ولا بصيرة ولا تجربة، ولا اعتبار عندهم لأهل العلم والفقه والبصيرة والتجربة.

٣ ـ لذا (أي بسبب السِّمَتين السابقتين) استغوتهم فئة ثالثة، وهم رؤوس أهل الأهواء والمطامع والثارات والزندقة والنفاق، من مثيري الفتنة، ودعاة الفرقة كابن السوداء وذي الخويصرة وأضرابهما.

سادساً: لم يكن للخوارج ولا للشيعة ـ فضلاً عمن جاء بعدهم من أهل الأهواء ـ قدوة ولا سلف من الصحابة، وأئمة السلف ألبتة، وكل

ما يدَّعيه أهل الأهواء ــ من أن لهم قدوة في بدعهم من الصحابة وأئمة الإسلام أهل السنّة والحديث ــ فهو محض كذب وافتراء وبهتان، أو نوع تعلق بزلة أو شبهة يلبسون بها على الناس، وهكذا كل صاحب هوى حين يزعم أن له سلفاً من أئمة الهدى، فإنما يفتري على الأئمة الكذب، أو يتبع زلة عالم يُلبِّس بها على الناس.

فتنبَّه أخي القارىء الكريم ــ حفظك الله ــ من دعاوى أصحاب الشعارات والاتجاهات، واستمسك بما عليه أهل العلم والفقه، نهج السلف، فإنه الصراط المستقيم، وسبيل المؤمنين، جعلني الله وإياك منهم.



موازنة بين الخوارج والشيعة

الخوارج والشيعة ــ كما أسلفت ــ كانت نشأتهما في وقت واحد، ومن منبت واحد، لكن كثيراً من أصولهما وغاياتهما تختلف. لذلك اتفقت الفرقتان في أمور، وتباينتا في أمور أخرى.

فقد اتفقت (الخوارج والشيعة) فيما يلي:

١ ــ الغلو:

فقد اتفقتا في أصل الغلو، واختلفتا في صوره، فكان غلو الخوارج في تشددهم في الدين والأحكام، والبراء وشدة الموقف من المخالفين، وما استلزمه ذلك من التكفير والخروج والقتال، وكان غلو الشيعة في الأشخاص؛ حيث غلوا في علي ــ رضي الله عنه ــ وآل البيت، وغيرهم.

٢ ــ الجهل والحمق وقصر النظر:

فكل من الخوارج والشيعة فيهم جهل وحمق وقصر نظر غالباً، ولا أدل على جهل الخوارج من مواقفهم من الصحابة، وخروجهم على الإمام والجماعة، ولا على جهل الشيعة من غلوهم في علي ــ رضي الله عنه ــ مع براءته من فعلهم، وتأديبه لطوائف منهم.

٣ ــ قلة العلم الشرعي، وضعف الفقه في الدين:

أما الخوارج، فكانت السمة الغالبة فيهم الاغترار بالعلم القليل، وليس لهم جَلَد على طلب العلم والرسوخ فيه.

وأما الشيعة، فلا يطلبون العلم على أهله، ولا يأخذونه عن أئمة السنّة، وأغلب مصادر علمهم عن أهل الكذب والوضع، وكلا الفرقتين لا يهتم غالباً بالحديث والسنن إلاّ ما يوافق أهواءهم.

٤ ــ مجانبة السنّة والخروج على جماعة المسلمين وأئمتهم:

أما الخوارج، فإنها فارقت الجماعة في الاعتقاد والعمل، وخرجت على أئمة المسلمين بالسيف.

وأما الشيعة، فإنها فارقت الجماعة في الاعتقاد والعمل، وترى الخروج بالسيف؛ لكنه مشروط عندهم بخروج مهديهم الموهوم، ومع ذلك كانوا يسارعون في الإسهام في كل فتنة تضر بالمسلمين.

٥ ــ ترك العمل بالحديث وآثار السلف:

كل من الخوارج والشيعة لا يعتمدون على السنّة الصحيحة أو أكثرها إلاّ فيما يرون أنه يعضد أهواءهم، ويجانبون آثار السلف.

٦ ــ فساد الاعتقاد في الصحابة:

أما الخوارج، فيكفّرون بعض الصحابة؛ كعلي، وعثمان، ومعاوية، وأبي موسى، وعمرو بن العاص ــ رضي الله عنهم ــ، وأصحاب الجمل وصفين، أو أكثرهم، ويسبون بعض السلف ويلمزونهم.

وأما الشيعة (الرافضة)، فيكفّرون سائر الصحابة ولا يستثنون إلاّ نفراً قليلاً، ويسبون كل السلف أئمة الدين فضلاً عن سائر أهل السنّة.

٧ ــ تكفير المخالف لهم من المسلمين :

الخوارج والشيعة كلهم يكفّرون المسلمين الذين يخالفونهم، وإن اختلفت أصول التكفير وأسبابها عند كل فرقة.

فالخوارج، كفَّروا بعض الصحابة بسبب التحكيم؛ عمله أو إقراره. وكفَّروا مرتكب الكبيرة من المسلمين. وكفَّروا كل من خالفهم ولم ينضم لمعسكرهم؛ على اختلاف بينهم في درجة الكفر (كفر شرك أو كفر نعمة).

أما الرافضة، فكما كفَّروا سائر الصحابة وزعموا أنهم مرتدون (إلاَّ نفراً قليلاً لا يتجاوز السبعة عند بعضهم)، فقد كفّروا سائر أئمة المسلمين وعامتهم.

واختلفت الفرقتان في أمور كثيرة منها :

١ ــ **الشيعة** غلت في آل البيت وقدستهم، في حين أن **الخوارج** الأولين أبغضوهم وناصبوهم العداء لذلك سموا (ناصبة).

٢ ــ **الشيعة** تعتمد على الكذب في الرواية والتلقي لمصادر الدين، ويكذبون على الخصوم وعلى أنفسهم، **والخوارج** لا يكذبون في الدين، ولا في الرواية، ولا على خصومهم، لأنهم يرون الكذب من كبائر الذنوب التي توجب التكفير؛ لكن جهلهم أودى بهم إلى اتباع أهوائهم.

٣ ــ **الخوارج** يعلنون أقوالهم وعقائدهم ومواقفهم، **والشيعة** يدينون بالتقية (النفاق) ما داموا بين ظهراني المسلمين، ولم تكن لهم دولة وولاية.

٤ ــ **الخوارج** يلزمون أنفسهم بقتال المخالفين في أكثر الأحوال. أما **الشيعة** فإنهم غالباً لا يقاتلون إلاَّ مع إمام من أئمتهم الذين يزعمون

أنهم معصومون، ويصفونهم بما لا يجوز إلاَّ لله تعالى؛ من علم الغيب، والتصرف في مقاليد الكون ومصائر العباد وقلوبهم، والتشريع من دون الله، لكنهم مع ذلك يسارعون في كل فتنة تضر بالمسلمين.

٥ ــ **أكثر الخوارج** من الأعراب وأهل الجفاء والغلظة في الطباع، وأكثر **الشيعة** من العجم والهمج والرعاع.

٦ ــ من طباع **الشيعة** الخيانة والغدر والكيد الخفي لخصومهم (أهل السنّة)، أما **الخوارج** فهم بعكس ذلك فإن فيهم صراحة ومعالنة، ويصْدعون بالبراء من خصومهم، ويعلنون مبادئهم ومواقفهم من الآخرين؛ لكن بقسوة وعنف.

٧ ــ **الخوارج** صعب قيادهم ولا يسلِّمون لأحد. **أما الشيعة** فهم أهل طاعة عمياء، يتبعون كل ناعق، وكل من رفع شعاراتهم وادعى محبة آل البيت وتقديسهم والانتصار لهم تبعوه، وقد يكون زنديقاً أو فاجراً، ولذلك يكثر فيهم الدجالون ومدعو النبوة، وأهل الفجور والفحش.

٨ ــ **الخوارج** يأخذون بظواهر النصوص دون فقه، ولا اعتبار لدلالة المفهوم، ولا قواعد الاستدلال، ولا الجمع بين الأدلة، ولا اعتبار عندهم لفهم العلماء، لذا غلَّبوا نصُوص الوعيد والخوف، وأهملوا نصُوص الوعد والرجاء. **والشيعة** بعكسهم، فهم أهل تأويل وتعطيل للنصوص، ولا يأخذون بدلالة النصوص اللغوية ولا الشرعية، ويفسرونها على هواهم ، على النهج الباطني والرمزي والإشاري، ويتبعون زعماءهم بلا بصيرة، ويزعمون لهم العصمة.

٩ ـ الخوارج ليس منهم زنادقة وليس فيهم نفاق. أما الرافضة فيكثر فيهم وبينهم الزنادقة والمنافقون؛ لذا تفرعت عنهم المذاهب الباطنية والإلحادية، وكثرت بينهم دعاوى النبوة، ودعاوى المهدية. والمتأمل للتاريخ يجد أكثر المذاهب والنحل الخبيثة والهدامة تنتحل الرفض والتشيع.

١٠ ـ مصادر التلقي عند الخوارج أسلم من مصادر التلقي عند الرافضة، فالخوارج يتبعون القرآن بمقتضى فهمهم، وإن أخطأوا في ذلك. أما الرافضة، فيتلقون عمن يسمونه المعصوم من أئمتهم، ويكذبون على الأئمة وغيرهم؛ بل وعلى الرسول ﷺ، ثم هم يصدِّقون كذبهم بعد ذلك.

١١ ـ الرافضة تقوم أصولهم على البدع والمحدثات والشركيات، في الاعتقادات والعبادات، وكثير من الأحكام. أما الخوارج فالبدع الشركية وبدع العبادات والقبورية والصوفية فيهم قليلة.

١٢ ـ وبالجملة، فإن الرافضة كانوا عبر تاريخ الإسلام أضر على الأمة وأعظم كيداً للمسلمين، وأكثر محادة لله تعالى ودينه وسنّة رسوله ﷺ وعباده المؤمنين؛ لأنهم كانوا خوارج من حيث اعتقاد الخروج والعمل عليه وتكفير المسلمين، ويزيدون على الخوارج في ذلك وفي أصولهم الباطلة التي تخصهم، كالإمامة والعصمة والتقية والرفض والنفاق.

هذا.. وقد عقد شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ موازنة بين الشيعة (الرافضة) والخوارج في أكثر من موضع من مصنفاته، رأيت من المفيد هنا ذكر طائفة منها، ومن ذلك قوله ـ رحمه الله تعالى ـ :

«وحال الجهمية والرافضة شر من حال الخوارج، فإن الخوارج كانوا يقاتلون المسلمين، ويَدّعُون قتال الكفار، وهؤلاء أعانوا الكفَّار على قتال المسلمين، وذلوا للكفار، فصاروا معاونين للكفار أذلاء لهم، معادين للمؤمنين أعزاء عليهم، كما قد وُجد مثل ذلك في طوائف القرامطة والرافضة والجهمية النفاة والحلولية، ومن استقرأ أحوال العالم رأى من ذلك عبراً، وصار في هؤلاء شبهٌ من الذين قال الله فيهم: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾»[1].

وقال: «وهؤلاء الرافضة إن لم يكونوا شراً من الخوارج المنصوصين فليسوا دونهم، فإن أولئك إنما كفّروا عثمان وعلياً، وأتباع عثمان وعلي فقط، دون من قعد عن القتال، أو مات قبل ذلك.

والرافضة كفّرت أبا بكر وعمر وعثمان، وعامة المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان ــ رضي الله عنهم ورضوا عنه ــ، وكفّروا جماهير أمة محمد ﷺ من المتقدمين والمتأخرين، فيكفّرون كل من اعتقد في أبي بكر وعمر والمهاجرين، والأنصار العدالة، أو ترضى عنهم كما رضي الله عنهم، أو يستغفر لهم كما أمر الله بالاستغفار لهم، ولهذا يكفّرون أعلام الملة مثل: سعيد بن المسيب، وأبي مسلم الخولاني، وأويس القرني، وعطاء بن أبي رباح، وإبراهيم النخعي، ومثل مالك، والأوزاعي، وأبي حنيفة، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، والثوري، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، والجنيد بن محمد، وسهل بن عبد الله التستري، وغير هؤلاء،

---

(١) درء التعارض ٧/١٣٨، ١٣٩.

ويستحلون دماء من خرج عنهم، ويسمون مذهبهم مذهب الجمهور، كما يسميه المتفلسفة ونحوهم بذلك»[1].

وقال: «ويرون أن حج هذه المشاهد المكذوبة وغير المكذوبة من أعظم العبادات، حتى إن من مشايخهم من يفضلها على حج البيت الذي أمر الله به ورسوله، ووصف حالهم يطول.

فبهذا يتبين أنهم شر من عامة أهل الأهواء، وأحق بالقتال من الخوارج، وهذا هو السبب فيما شاع في العرف العام أن أهل البدع هم الرافضة، فالعامة شاع عندها أن ضد السني هو الرافضي فقط، لأنهم أظهر معاندة لسنة رسول الله ﷺ وشرائع دينه من سائر أهل الأهواء»[2].

وقال: «وأيضاً فالخوارج كانوا يتبعون القرآن بمقتضى فهمهم، وهؤلاء [أي الرافضة] إنما يتبعون الإمام المعصوم عندهم الذي لا وجود له، فمستند الخوارج خير من مستندهم، وأيضاً فالخوارج لم يكن منهم زنديق ولا غال، وهؤلاء فيهم من الزنادقة والغالية من لا يحصيه إلاَّ الله. وقد ذكر أهل العلم أن مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق عبد الله بن سبأ، فإنه أظهر الإسلام وأبطن اليهودية، وطلب أن يفسد الإسلام كما فعل بولص النصراني، الذي كان يهودياً، في إفساد دين النصارى»[3].

وقال: «وإنما كان هؤلاء شراً من الخوارج الحرورية، وغيرهم من أهل الأهواء، لاشتمال مذاهبهم على شر مما اشتملت عليه مذاهب الخوارج، وذلك لأن الخوارج الحرورية كانوا أول أهل الأهواء خروجاً عن السنّة والجماعة»[4].

---

(١) الفتاوى ٢٨/ ٤٧٧.

(٢) الفتاوى ٢٨/ ٤٨٢.

(٣) الفتاوى ٢٨/ ٤٨٣.

(٤) الفتاوى ٢٨/ ٤٨٩.

وقال: «وأيضاً فإن الخوارج الحرورية كانوا ينتحلون اتباع القرآن بآرائهم ويدعون اتباع السنن التي يزعمون أنها تخالف القرآن، والرافضة تنتحل اتباع أهل البيت وتزعم أن فيهم المعصوم الذي لا يخفى عليه شيء من العلم ولا يخطىء؛ لا عمداً ولا سهواً ولا رشداً»[1].

وقال: «والرافضة أشد بدعة من الخوارج، وهم يكفّرون من لم تكن الخوارج تكفّره كأبـي بكر وعمر، ويكذبون على النبـي ﷺ والصحابة كذباً ما كَذَب أحد مثله، والخوارج لا يكذّبون علياً لكن الخوارج كانوا أصدق وأشجع منهم وأوفى بالعهد منهم، فكانوا أكثر قتالاً منهم، وهؤلاء أكذب وأجبن وأغدر وأذل»[2].

أما بعض الشيعة الأوائل (المفضلة) فهم خير من الخوارج:

هناك طائفة نسبت إلى التشيع، وقد اندثرت، وليست على نهج الشيعة الرافضة، ولا الشيعة الزيدية، وكان تشيعها ينحصر في تفضيل علي ــ رضي الله عنه ــ على سائر الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ وعلى أبـي بكر وعمر مع إقرارها بإمامتهما، وقد قال شيخ الإسلام في هذه الفئة: «ولهذا كانت الشيعة المتقدمون خيراً من الخوارج الذين قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبـي طالب بأمر النبـي ﷺ، وأما كثير من متأخري الرافضة، فقد صاروا شراً من الخوارج بكثير، بل فيهم من هو أعظم الناس نفاقاً بمنزلة المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ، أو فوقهم أو دونهم، ولهذا قال البخاري صاحب الصحيح في كتاب (خلق أفعال العباد): لا أبالي أصليت خلف الجهمي أو الرافضي، أو صليت خلف اليهودي والنصراني،

---

(١) الفتاوى ٢٨/ ٤٩١.

(٢) منهاج السنة ٥/ ١٥٤.

ولا يسلم عليهم، ولا يُعادُون، ولا يناكحون، ولا يشهدون، ولا تؤكل ذبائحهم»[1].

وبعد هذه المقارنة بين الخوارج والشيعة والتي سقتها هنا لاشتراك الفرقتين في النشأة والأسباب، ولأني كنت سأتحدث عن الفرقتين في فصل واحد لكني عدلت عن ذلك لأسباب ليس هذا محل ذكرها، فرأيت أنه من المفيد إبقاء هذه الموازنة بين هاتين الفرقتين السبئيتين إتماماً للفائدة.

أقول: وبعد هذه الموازنة أنقل القارىء الكريم إلى الحديث عن الخوارج مستعيناً بالله.

❑ ❑ ❑

(1) بيان تلبيس الجهمية (حقي) ٢/ ٥٣٩؛ وانظر: خلق أفعال العباد للبخاري ص ١٢.

تعـريف الخـوارج

الخوارج: هم الذين يُكَفِّرون بالمعاصي، ويَخْرُجون على أئمة المسلمين وجماعتهم.

ويشمل ذلك: الخوارج الأولين (المحكّمة الحرورية)، ومن تفرع عنهم من الأزارقة والصفرية والنجدات، (وهذه الثلاث قد انقرضت)، والأباضية (وهم باقون إلى اليوم).

كما يشمل اسم الخوارج كل من أخذ بأصولهم وسلك سبيلهم، كجماعات التكفير والهجرة في هذا العصر ونحوهم، وعلى هذا فإن الخوارج قد يخرجون في كل زمان، وسيظهرون في آخر الزمان، وكما أخبر النبي ﷺ عن الخوارج الأولين، فقد أخبر ﷺ كذلك عن المتأخرين، وأنهم يخرجون في آخر الزمان، قال ﷺ: **(سيخرج قوم في آخر الزمان، أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة)**[1].

❑ ❑ ❑

(١) صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب ٦، الحديث (٦٩٣٠)؛ فتح الباري ١٢/٢٨٣.

ألقاب الخوارج

للخوارج ألقاب كثيرة، منها:

١ــ الخوارج:

سموا بذلك لأن النبي ﷺ وصفهم بأنهم (يخرجون على حين فرقة من المسلمين)، ولأنهم يخرجون على أئمة المسلمين، وعلى جماعتهم بالاعتقاد والسيف، وهذا وصف عام لكل من سلك سبيلهم إلى يوم القيامة.

٢ ــ المحكِّمة:

لأنهم فارقوا علياً وجماعة المسلمين بسبب مسألة التحكيم، حينما زعموا أن علياً حكَّم الرجال وقالوا: لا حكم إلاَّ لله، وقد كفَّروا علياً والحكمين، ومن قال بالتحكيم ورضي به، وهذا اسم لجماعة الخوارج الأولين.

٣ ــ الحرورية:

وهم الذين خرجوا على علي وجماعة الصحابة، لأنهم حين خرجوا انحازوا إلى مكان يقال له حروراء بالعراق، وهذا الاسم كسابقه.

٤ ــ أهل النهروان:

نسبة إلى المكان الذي قاتلهم فيه علي، وهم الحرورية المحكمة.

٥ ــ الشــراة:

لأنهم زعموا أنهم يشرون أنفسهم ابتغاء مرضاة الله في قتالهم المسلمين، وقد أطلق على فئات من الخوارج الأولين، ولا يزال الخوارج المعاصرون (الأباضية) يرون هذا الوصف يمكن تحقيقه إذا توافرت شروطه[1]، ويعدونه مسلكاً من مسالك الدين.

٦ ــ المـارقـة:

لأن النبـي ﷺ سماهم (مارقة)، ووصفهم بأنهم (يمرقون من الدين).

٧ ــ المـكفِّـرة:

لأنهم يكفَّرون بالكبائر، ويكفِّرون من خالفهم من المسلمين، وهذا وصف لكل من نهج هذا النهج في كل زمان.

٨ ــ السبـئيـة:

لأن منشأهم من الفتنة التي أوقدها ابن سبأ اليهودي، وهذا وصف لأصول الخوارج الأولين ورؤوسهم.

٩ ــ النـاصبـة:

لأنهم ناصبوا علياً ــ رضي الله عنه ــ وآله العداء، وصرحوا ببغضهم.



(١) انظر من كتبهم: الجامع الصغير لأطفيش ١/ ١١٠، ١١١، والإباضية في موكب التاريخ ــ الحلقة الأولى ــ ٩٣ ــ ٩٦، ومقدمة أجوبة ابن فرحون: ١٠ ــ ١٢، والدليل والبرهان للوارجلاني ٣/ ١٥٣.

مقالة الخوارج
أول مقالة فرقت بين الأمة

يدور أول نزاع أحدث المفارقة والافتراق والخروج على جماعة المسلمين وإمامهم على مسألتين تجتمعان في أصل واحد هو: «التكفير بالذنوب ولوازمه»، أما المسألتان فهما:

المسألة الأولى: التَحْكيمُ والحُكْم، فإنه حينما اتفق المسلمون على تحكيم الحكمين: أبو موسى من قبل علي ــ رضي الله عنهما ــ ، وعمرو بن العاص من قبل معاوية ــ رضي الله عنهما ــ اعترضت السبئية الخوارج، وكان أول من أعلن ذلك كما يقال عروة بن جرير، حيث قال: أتحكّمون في دين الله الرجال؟ ثم تلقف هذه الكلمة طوائف من بعض القراء الجهلة والأعراب وقتلة عثمان وغيرهم من أصحاب علي، وقالوا: «لا حكم إلاَّ لله»، فكان هذا شعارهم الذي فارقوا به الإمام وجماعة المسلمين، ونتجت عن هذه المقولة مقولة أخرى هي التكفير بالمعاصي، وهي:

المسألة الثانية: التكفير، تكفير علي ومعاوية والحكمين، ومن رضي بحكمهما، أخذاً بظاهر قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٤٠]، [سورة يوسف، الآية: ٦٧]، ورتبوا على ذلك جميع لوازم الكفر، والتي منها أن علياً حين حكّم الرجال لا إمامة له، فاعتقدوا أنهم في حل من إمامته وبيعته، وأنه يجب عليهم أن يؤمّروا عليهم أميراً للمؤمنين ــ يعنون أنفسهم «أي الخوارج» ــ دون بقية المسلمين الذين صاروا في رأيهم كفاراً ما لم يلحقوا بهم، وأن كل من حكّم الرجال أو رضي بالتحكيم فهو كافر.

فكان أن بايعوا «عبد الله بن وهب الراسبـي» في ١٠/ ١٠/ ٣٧هـ، وهذا هو تاريخ أول افتراق فعلي معلن في الأمة[١]، وعليه فإن:

افتراق الخوارج هو أول افتراق في تاريخ المسلمين:

كل الحوادث والنزاعات والاختلافات التي حصلت في عهد أبـي بكر وعمر وعثمان ــ رضي الله عنهم ــ لم ينتج عنها افتراق ولا فرق، وكان كل نزاع ينتهي إما بالإجماع، أو الأخذ بقول الأغلب، أو العمل بما عليه الإمام أو الأكابر، أو كل يذهب إلى ما أدى إليه اجتهاده، ويعذر كل فريق من المختلفين الآخر، ولم يصل الأمر إلى الافتراق ولا الخروج على جماعة المسلمين وأئمتهم.

وحتى أولئك الذين قدموا المدينة ناقمين على عثمان ــ رضي الله عنه ــ كانوا أول أمرهم لم يُظهروا المنازعة ولا الفرقة، ولم يطالبوا لأنفسهم ولا لأحد بعينه بالإمامة، إنما كانوا يطالبون بأن يخلع الإمام نفسه، أو يخلعه أهل الحل والعقد، ويختار المسلمون لهم إماماً يرضونه، وكانوا يزعمون أنهم إنما يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

ولما قتل عثمان ــ رضي الله عنه ــ وحصلت الفتنة، وصارت وقعة الجمل وصفين، برزت من خلال ذلك أول فُرْقة عن جماعة المسلمين وإمامهم، وكانت بظهور (الخوارج والشيعة)، وذلك عام (٣٧) للهجرة وما بعدها، وكلا الفرقتين خرجتا من خلال الفتنة، وكلاهما من بذور (السبئية) رغم ما بدا بينهما من تفاوت في الأصول والمقولات والمواقف.

(١) راجع الفتاوى ١٩/ ٨٩ ــ ٩٢؛ وتاريخ الطبري ٣/ ٧٩ ــ ١١٣؛ والكامل لابن الأثير ٣/ ١٦٣ وما بعدها؛ والبداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٢٧٨، ٢٧٩؛ وتلبيس إبليس ٩١، ٩٢؛ ودراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة) للدكتور أحمد محمد جلي ٥٥، ٥٦.

قال شيخ الإسلام: «وهاتان الطائفتان ــ الخوارج والشيعة ــ حدثوا بعد مقتل عثمان، وكان المسلمون في خلافة أبـي بكر وعمر وصدراً من خلافة عثمان في السنة الأولى من ولايته، متفقين لا تنازع بينهم، ثم حدث في أواخر خلافة عثمان أمور أوجبت نوعاً من التفرق، وقام قوم من أهل الفتنة والظلم فقتلوا عثمان، فتفرق المسلمون بعد مقتل عثمان، ولما اقتتل المسلمون بصفين، واتفقوا على تحكيم حكمين، خرجت الخوارج على أمير المؤمنين علي بن أبـي طالب وفارقوه، وفارقوا جماعة المسلمين إلى مكان يقال له حروراء»[1].

فصار هؤلاء هم «الخوارج المارقون[2] الذين أمر الرسول ﷺ بقتالهم، قاتلهم علي، واتفق أئمة الدين على قتالهم ــ من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ــ ، ولم يكفّرهم علي وسعد، وغيرهما، بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم، ولم يقتلهم علي حتى سفكوا الدماء الحرام، وأغاروا على المسلمين؛ قاتلهم لبغيهم لا لكفرهم، لذا لم يسْب حريمهم، ولم يغنم أموالهم»[3].

ثم بين أنه: إذا كان المسلم متأولاً في القتال أو التكفير لم يكفر بذلك[4].

وقال شيخ الإسلام أيضاً: «ولهذا كان أول من فارق جماعة المسلمين من أهل البدع، الخوارج المارقون»[5].

---

(١) الفتاوى ١٣/ ٣٢.

(٢) سميت الخوارج المارقة أخذاً من وصف الرسول ﷺ لهم في الحديث الصحيح: «يمرقون من الدين».

(٣) انظر: الفتاوى ٣/ ٢٨٢ بتصرف.

(٤) انظر: الفتاوى ٣/ ٢٨٣.

(٥) انظر: الفتاوى ٣/ ٣٤٩.

انبعاث المقولات الأولى للخوارج

ذكرت أن أول خروج الخوارج كان على مسألة التحكيم وتكفير من فعلها وشارك فيها.

ثم تتابعت مقولات الخوارج الأولين: «المحكمة الحرورية»[١] وتجارت بهم الأهواء كما أخبر النبي ﷺ بذلك[٢]، وأخذت البدع عندهم تتوالى وتزداد، ويجر بعضها بعضاً.

فتكلموا في تكفير أهل الذنوب من الأمة عموماً، فقالوا بأنهم كفار مخلدون في النار، وأحكامهم في الدنيا أحكام الكفار، ودارهم دار كفر، واستحلوا بذلك دماء المسلمين وأموالهم وقتالهم[٣].

قال شيخ الإسلام عن الخوارج: «وهم أول من كفّر أهل القبلة بالذنوب، بل بما يرونه من الذنوب، واستحلوا دماء أهل القبلة بذلك»[٤].

فلما حصل منهم ذلك اتفق الصحابة على أنهم المعنيون في الخبر عن

(١) سموا محكمة لأنهم رفعوا شعار: «لا حكم إلاَّ لله»، وزعموا أن تحكيم الرجال ينافي ذلك. وحرورية لأنهم انحازوا إلى مكان اسمه حروراء بالعراق.

(٢) في قوله ﷺ: (تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه...) الحديث صححه الألباني ــ انظر تخريجه ص ٦١، من كتابي: «دراسات في الأهواء...».

(٣) انظر: الفتاوى ٣/ ٢٧٩ و٧/ ٤٨١، ٤٨٣، ٤٨٤؛ والاستقامة ١/ ٤٣١.

(٤) الفتاوى ٧/ ٤٨١.

النبـي ﷺ، واتفقوا على وجوب قتالهم، قال شيخ الإسلام: «ولذلك اتفق على قتالهم الصحابة والأئمة»[1].

وقال: «فلما شاع في الأمة أمر الخوارج، تكلمت الصحابة فيهم، ورووا عن النبـي ﷺ الأحاديث فيهم، وبينوا ما في القرآن من الرد عليهم، وظهرت بدعتهم في العامة»[2].

قال الإمام أحمد: «صح الحديث في الخوارج من عشرة أوجه»، وقد خرجها مسلم في صحيحه، وخرج البخاري طائفة منها[3].

وقال شيخ الإسلام: «والخوارج هم أول من كفَّر المسلمين، يكفِّرون بالذنوب، ويكفرون من خالفهم في بدعتهم، ويستحلون دمه وماله»[4].

وقال: «وأول بدعة حدثت في الإسلام بدعة الخوارج والشيعة؛ حدثتا في أثناء خلافة أمير المؤمنين علي بن أبـي طالب، فعاقب الطائفتين، أما الخوارج فقاتلوه فقتلهم، وأما الشيعة فحرّق غاليتهم بالنار، وطلب قتل عبد الله بن سبأ فهرب منه، وأمر بجلد من يفضّله على أبـي بكر وعمر»[5].

هذا: وسيأتي الكلام مفرداً عن الشيعة والسبئية.



---

(١) الفتاوى ٧/ ٤٨١.
(٢) الفتاوى ٧/ ٤٨٣، ٤٨٤.
(٣) الفتاوى ٧/ ٢٧٩.
(٤) الفتاوى ٧/ ٢٧٩.
(٥) الفتاوى ٧/ ٢٧٩. وانظر: صحيح البخاري فتح الباري ١٢/ ٢٩٠، وما بعدها، ومسلم ١/ ٧٤٢، وما بعدها.

الخوارج الأولون ليسوا أهل كلام بالمعنى الاصطلاحي إنما كانوا أهل خصومات وجدل

وفي هذه المرحلة كانت مقولات الخوارج ظاهرية بعيدة عن الكلاميات والفلسفيات والعقليات المتكلفة والتأويل، «ولم يعرف فيهم الكلام وتأويل الصفات إلاَّ بعد ظهور المعتزلة، ومتكلمي الشيعة، أما قدماء الخوارج الذين في عهد الصحابة والتابعين فقد سبقوا هذه المقولات المنسوبة للجهمية والمعتزلة»[1].

إنما تحولت الشيعة إلى معتزلة وجهمية فيما بعد حين ظهرت الزيدية، وتحولت إلى أصول المعتزلة ثم الرافضة الإمامية، وكانت في القرن الثاني فيها مجسمة مشبهة، ثم معتزلة جهمية[2].

وكذلك الخوارج الذين بقوا، وهم الأباضية، فإنها مع بقائها على أصول الخوارج، فقد زادت عليها وتحولت إلى خليط من عقائد الجهمية والمعتزلة وأهل الكلام[3].



(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية ٢/ ٥٦٤، القسم الذي حققه (رشيد حسن).

(٢) انظر: ص ١٨٢ من كتابي: «دراسات في الأهواء...».

(٣) انظر: ص ١٨١ من كتابي: «دراسات في الأهواء...».

لا أثر للزندقة في الخوارج الأولين

وفي هذه المرحلة لم يظهر للزنادقة المنافقين أثر بيِّن في الخوارج الأولين:

فالخوارج في بدايتهم ظهروا في قوم فيهم إيمان؛ لكنّهم جهلوا وضلوا، فلا أثر مباشر للزنادقة المنافقين فيهم، بخلاف الرافضة، فإن بداية أمرهم من الزنادقة المنافقين[١]، كما سيأتي بيانه عند الكلام عن الشيعة والرافضة. لكنهم ـ أي الخوارج ـ كان منهم سبئية في مواقفهم من الولاة وتأثروا بتحريض السبئية على عثمان، واستجابوا لهم وشايعوهم على خليفة المسلمين، لكن لم يتأثروا بعقائد السبئية التي تأسست بها الشيعة.



(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية ٢/ ٥٣٠، ٥٣١ (حقي).

أصول الخوارج الأولين
ومنهجهم وسماتهم العامة

إن الدارس لحال الخوارج الأولين يخلص في تقرير منهجهم وأصولهم وسماتهم العامة إلى الأصول والسمات التالية:

١ ـ **التكفير بالمعاصي** (الكبائر)، وإلحاق أهلها (المسلمين) بالكفار في الأحكام والدار والمعاملة والقتال.

٢ ـ **الخروج على أئمة المسلمين** اعتقاداً وعملاً ـ غالباً ـ، أو أحدهما أحياناً.

٣ ـ **الخروج على جماعة المسلمين** ومعاملتهم معاملة الكفار في الدار والأحكام، والبراء منهم وامتحانهم، واستحلال دمائهم.

٤ ـ **صرف نصوص** الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى منازعة الأئمة والخروج عليهم، وقتال المخالفين.

٥ ـ **كثرة القراء الجهلة فيهم** والأعراب[1]، وأغلبهم كما وصفهم النبي ﷺ: **(حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام)**.

٦ ـ **ظهور سيما الصالحين عليهم**، وكثرة العبادة كالصلاة والصيام، وأثر السجود، وتشمير الثياب، مسهمة وجوههم من السهر، ويكثر فيهم الورع (على غير فقه)، والصدق والزهد، مع التشدد والتنطع في الدين كما وصفهم النبي ﷺ: **(تحقرون صلاتكم عند صلاتهم...)**.

---

(١) انظر: ص (١٦١، ١٦٢) عند الكلام عن جهلة القراء والأعراب وإسراعهم للفتن في كتابي: «دراسات في الأهواء...».

٧ ـ **ضعف الفقه في الدين**، وقلة الحصيلة من العلم الشرعي، كما وصفهم النبي ﷺ: (**يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم**).

٨ ـ **ليس فيهم** من الصحابة ولا الأئمة والعلماء وأهل الفقه في الدين أحد، كما قال ابن عباس: «وليس فيكم منهم أحد» ـ يعني الصحابة ـ.

٩ ـ **الغرور والتعالم والتعالي على العلماء**، حتى زعموا أنهم أعلم من علي وابن عباس وسائر الصحابة، والتفّوا على الأحداث الصغار والجهلة قليلي العلم من رؤوسهم.

١٠ ـ **الخلل في منهج الاستدلال**؛ حيث أخذوا بآيات الوعيد وتركوا آيات الوعد، واستدلوا بالآيات الواردة في الكفار، وجعلوها في المخالفين لهم من المسلمين؛ كما قال فيهم ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: «انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين»(١).

١١ ـ **الجهل بالسنة** واقتصارهم على الاستدلال بالقرآن غالباً.

١٢ ـ **سرعة التقلب** واختلاف الرأي وتغييره (عواطف بلا علم ولا فقه)، لذلك يكثر تنازعهم وافتراقهم فيما بينهم، وإذا اختلفوا تفاصلوا وتقاتلوا.

١٣ ـ **التعجل في إطلاق الأحكام** والمواقف من المخالفين (سرعة إطلاق الحكم على المخالف بلا تثبت).

١٤ ـ **الحكم على القلوب** واتهامها، ومنه الحكم باللوازم والظنون.

١٥ ـ **القوة والخشونة** والجلد والجفاء والغلظة في الأحكام والتعامل، وفي القتال والجدال.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ استبانة المرتدين ـ باب (٦)، فتح الباري ١٢/ ٢٨٢.

١٦ ــ **قصر النظر**، وضيق العَطَن، وقلة الصبر، واستعجال النتائج.

١٧ ــ **يقتلون أهل الإسلام** ويخاصمونهم، ويَدَعُون أهل الأوثان كما جاء وصفهم في الحديث.

هذا وقد فصَّل شيخ الإسلام ابن تيمية مناهجهم وأصولهم وسماتهم في مواضع عديدة من مصنفاته، أسوق طائفة منها:

١ ــ جهلهم:

قال عنهم (أي الخوارج): «فهم جهال فارقوا السنّة والجماعة عن جهل»[1].

٢ ــ تضليلهم لأئمة الهدى وجماعة المسلمين:

وقال في معرض ذكره لصفات الخوارج: «فهؤلاء أصل ضلالهم اعتقادهم في أئمة الهدى وجماعة المسلمين أنهم خارجون عن العدل، وأنهم ضالون، وهذا مأخذ الخارجين عن السنّة من الرافضة ونحوهم، ثم يعدون ما يرون أنه ظلم عندهم كفراً، ثم يرتبون على الكفر أحكاماً ابتدعوها»[2].

٣ ــ فساد منهجهم بخروجهم عن السنّة وخطأ أحكامهم:

قال: «ولهم خاصتان مشهورتان فارقوا بها جملة المسلمين وأئمتهم، إحداهما: خروجهم عن السنّة، وجعلهم ما ليس بسيئة سيئة، أو ما ليس بحسنة حسنة، هذا هو الذي أظهروه في وجه النبي ﷺ حيث قال له ذو الخويصرة التميمي: اعدل، فإنك لم تعدل، حتى قال له النبي ﷺ: «**ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدل، لقد خبت وخسرت إن لم أعدل**»، فقوله: فإنك لم تعدل، جعل منه لفعل النبي ﷺ سفهاً وترك عدل، وقوله: «اعدل»

---

(١) المنهاج ٣/ ٤٦٤.

(٢) الفتاوى ٢٨/ ٤٩٧.

أمر له بما اعتقده هو حسنة من القسمة التي لا تصلح، وهذا وصف تشترك فيه البدع المخالفة للسنّة، فقائلها لا بد أن يثبت ما نفته السنّة، وينفي ما أثبتته السنّة، يحسن ما قبّحته السنّة، ويقبّح ما حسّنته السنّة، وإلا لم يكن بدعة، وهذا القدر قد يقع من بعض أهل العلم خطأ في بعض المسائل، لكن أهل البدع يخالفون السنّة الظاهرة المعلومة»[1].

٤ ــ تجويزهم على النبي ﷺ ما لا يجوز في حقه (كالجور):

قال: «والخوارج جوزوا على الرسول ﷺ نفسه أن يجور ويضل في سنته، ولم يوجبوا طاعته ومتابعته، وإنما صدّقوه فيما بلغه من القرآن؛ دون ما شرعه من السنّة التي تخالف ــ بزعمهم ــ ظاهر القرآن، وغالب أهل البدع والخوارج يتابعونهم في الحقيقة على هذا، فإنهم يرون أن الرسول لو قال بخلاف مقالتهم لما اتبعوه، كما يحكى عن عمرو بن عبيد في حديث الصادق المصدوق[2]، وإنما يدفعون عن نفوسهم الحجة؛ إما برد النقل، وإما بتأويل المنقول. فيطعنون تارة في الإسناد، وتارة في المتن، وإلا فهم ليسوا متبعين ولا مؤتمين بحقيقة السنّة التي جاء بها الرسول ﷺ، بل ولا بحقيقة القرآن»[3].

٥ ــ التكفير بالذنوب واستحلال دماء المسلمين وأموالهم واعتبار دارهم دار حرب:

قال: «والفرق الثاني في الخوارج وأهل البدع: أنهم يكفرون بالذنوب

---

(١) الفتاوى ١٩/ ٧٢.

(٢) حديث الصادق المصدوق: عن ابن مسعود ــ رضي الله عنه ــ في القدر، قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً...**» الحديث في صحيح مسلم، كتاب القدر، رقم (٢٦٤٣) ٤/ ٢٠٣٦.

(٣) الفتاوى ١٩/ ٧٣.

والسيئات، ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم، وأن دار الإسلام دار حرب، ودارهم هي دار الإيمان. وكذلك يقول جمهور الرافضة، وجمهور المعتزلة، والجهمية، وطائفة من غلاة المنتسبة إلى أهل الحديث والفقه ومتكلميهم[1].

فهذا أصل البدع التي ثبت بنص سنّة الرسول ﷺ وإجماع السلف أنها بدعة، وهو جعل العفو سيئة وجعل السيئة كفراً»[2].

وقال: «وأما التكفير بذنب أو اعتقاد سني فهو مذهب الخوارج، والتكفير باعتقاد سني مذهب الرافضة والمعتزلة وكثير من غيرهم»[3].

٦ ـ سوء فهمهم للقرآن أوقعهم في التكفير ولوازمه:

قال: «وكانت البدع الأولى مثل بدعة الخوارج، إنما هي من سوء فهمهم للقرآن، لم يقصدوا معارضته؛ لكن فهموا منه ما لم يدل عليه، فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب، إذْ كان المؤمن هو البر التقي؛ قالوا: فمن لم يكن براً تقياً فهو كافر، وهو مخلد في النار، ثم قالوا: وعثمان وعلي ومن والاهما ليسوا بمؤمنين؛ لأنهم حكموا بغير ما أنزل الله، فكانت بدعتهم لها مقدمتان:

الواحدة: أن من خالف القرآن بعمل أو برأي أخطأ فيه فهو كافر.

والثانية: أن عثمان وعلياً ومن والاهما كانوا كذلك؛ ولهذا يجب الاحتراز من تكفير المؤمنين بالذنوب والخطايا، فإنه أول بدعة ظهرت في الإسلام فكفّر أهلها المسلمين، واستحلوا دماءهم وأموالهم، وقد ثبتت عن

---

(١) ولذلك كان بعض السلف يسمي كل أهل الأهواء: (خوارج).

(٢) الفتاوى ١٩/ ٧٣.

(٣) الفتاوى ١٩/ ٧٥.

النبـي ﷺ أحاديث صحيحة في ذمهم والأمر بقتالهم»[1].

٧ ـ لا يعملون بالسنّة إذا خالفت أصولهم وليس لهم مؤلفات مأثورة:

قال: «والخوارج لا يتمسكون من السنّة إلا بما فسّر مجملها دون ما خالف ظاهر القرآن عندهم، فلا يرجمون الزاني، ولا يرون للسرقة نصاباً، وحينئذٍ فقد يقولون: ليس في القرآن قتل المرتد، فقد يكون المرتد عندهم نوعين، وأقوال الخوارج إنما عرفناها من نقل الناس عنهم لم نقف لهم على كتاب مصنف، كما وقفنا على كتب المعتزلة، والرافضة، والزيدية، والكرامية، والأشعرية، والسالمية، وأهل المذاهب الأربعة، والظاهرية، ومذاهب أهل الحديث، والفلاسفة، والصوفية ونحو هؤلاء»[2].



---

(١) الفتاوى ١٣/ ٣٠، ٣١.

(٢) الفتاوى ١٣/٤٨، ٤٩.

مما اجتمعت عليه الخوارج الأولى

قال الأشعري: «أجمعت الخوارج على إكفار علي بن أبـي طالب أن حكَّم، وهم مختلفون هل كفره: شرك أم لا؟ وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر، إلا النجدات، فإنها لا تقول ذلك، وأجمعوا على أن الله ـ سبحانه ـ يعذب أصحاب الكبائر عذاباً دائماً إلا النجدات أصحاب نجدة»[١].



---

(١) مقالات الإسلاميين ١/ ١٧٠.

أول من أحدث
الخلاف بين الخوارج الأولى

قال الأشعري: «وأول من أحدث الخلاف بينهم نافع بن الأزرق الحنفي، والذي أحدثه البراء من القَعَدة، والمحنة لمن قصد عسكره، وإكفار من لم يهاجر إليه»[1].

قلت: ويُعدُّ افتراق ابن الأزرق أول انقسام في الخوارج، وكان ذلك سنة ٦٤هـ حين فاصلوا ابن الزبير، فافترقوا إلى أربع فرق كبرى:

١ ــ الأزارقة.

٢ ــ الصفرية.

٣ ــ النَّجدَات.

وقد انقرضت هذه الثلاث.

٤ ــ الأباضية وهي الباقية إلى اليوم.

وقال الأشعري كذلك: «وأصل قول الخوارج إنما هو قول الأزارقة والأباضية والصفرية والنجدية. وكل الأصناف سوى الأزارقة والأباضية والنجدية، فإنما تفرعوا من الصفرية»[2].



(١) مقالات الإسلاميين ١/ ١٦٨، ١٦٩.

(٢) مقالات ١/ ١٨٣.

تحول الخوارج إلى فرق كلامية

بعد ظهور الفرق الكلامية (الجهمية والمعتزلة ثم الأشاعرة والماتريدية) تحولت الخوارج إلى فرق كلامية:

وقد حكى الأشعري المتوفى سنة (٣٢٤هـ) مقالاتهم آنذاك قال:

١ ـ **قولهم في التوحيد**: قال الأشعري: «فأما التوحيد، فإن قول الخوارج فيه كقول المعتزلة»، ثم قال: «الأباضية تخالف المعتزلة في التوحيد في الإرادة فقط»[١].

٢ ـ **قولهم في القرآن**: «والخوارج جميعاً يقولون بخلق القرآن»[٢]. وينشأ عن هذا سؤال مهم: متى قالت الخوارج بقول المعتزلة، مع أنهم أسبق منهم؟ لست أدري والموضوع يحتاج إلى بحث.

٣ ـ **في القدر**: منهم من يذهب إلى قول المعتزلة، ومنهم من يميل إلى الإثبات[٣].

٤ ـ **في الوعيد**: قولهم وقول المعتزلة واحد، إلا أن الخوارج يقولون: أهل الكبائر المنتحلين للإسلام يعذبون عذاب الكافرين، والمعتزلة يقولون ليس كعذاب الكافرين[٤].

---

(١) مقالات الإسلاميين ١/ ٢٠٣.

(٢) مقالات الإسلاميين ١/ ٢٠٣.

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين ١/ ٢٠٤.

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين ١/ ٢٠٤.

٥ ــ **قولهم في السيف**: «وأما السيف، فإن الخوارج جميعاً تقول به وتراه، إلا أن الأباضية لا ترى اعتراض الناس بالسيف، ولكنهم يرون إزالة أئمة الجور»[(١)].

٦ ــ **قولهم في الخلفاء والإمامة والصحابة**: «والخوارج بأسرها يثبتون إمامة أبـي بكر وعمر وينكرون إمامة عثمان ــ رضوان الله عليهم ــ في وقت الأحداث التي نقم عليه من أجلها، ويقولون بإمامة علي قبل أن يحكِّم، وينكرون إمامته لما أجاب إلى التحكيم، ويكفّرون معاوية وعمرو بن العاص وأبا موسى الأشعري، ويرون أن الإمامة في قريش وغيرهم. . .»[(٢)].

وقال السكسكي في البرهان: «ومذهب الخوارج كمذهب المعتزلة إلا في الإرادة»[(٣)]، وهذا يعني أنهم تحولوا في أصولهم العقدية إلى مذاهب المعتزلة كما هو الشأن في الزيدية من الشيعة، ولا تزال الأباضية في أكثر أصولها على ذلك[(٤)].



(١) انظر: مقالات الإسلاميين ١/ ٢٠٤.

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين ١/ ٢٠٤.

(٣) البرهان ١٩.

(٤) انظر مثلاً: الحق الدامغ للخليلي ــ وهو من معاصريهم ــ، فقد أصَّل عقيدة الأباضية في أصحاب الكبائر والشفاعة والرؤية على مذهب الجهمية والمعتزلة.

موقف الصحابة والسلف
من الخوارج وحكمهم فيهم

كان موقف الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ والسلف من بعدهم من الخوارج قوياً وحازماً، وقد تجلى في التحذير منهم ومن بدعهم ومقالاتهم الفاسدة، كما كانوا يناظرونهم ويعلمونهم كما فعل علي بن أبـي طالب وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ .

وكانوا يرونهم شرار الخلق.

وكانوا يقاتلونهم إذا حدث منهم قتال أو بغي أو قطعوا السبل وتعرضوا لمصالح المسلمين.

وإليك نماذج من مواقف السلف من الخوارج:

١ ـ **أخرج أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بسنده عن معاوية بن قرة:** «خرج محكِّم[(١)] في زمان أصحاب رسول الله ﷺ، فخرج عليه بالسيف رهط من أصحاب رسول الله ﷺ، منهم عائذ بن عمرو»[(٢)].

٢ ـ **وأخرج بسنده عن الأورق بن قيس، قال:** «كنا بالأهواز نقاتل الخوارج، وفينا أبو برزة الأسلمي ـ رضي الله عنه ـ فجاء إلى نهر، فتوضأ، ثم قام يصلي»[(٣)].

---

(١) أي: خارجي، من الخوارج المحكمة.

(٢) السنّة ٢/ ٦٤٠ (١٥٣٠)، قال المحقق: إسناده صحيح، إلا أن خالداً عنعن عن معاوية.

(٣) السنّة ٢/ ٦٤٠٠ (١٥٣٢).

٣ ــ **وأخرج عن نافع، قال**: «لما سمع ابن عمر ــ رضي الله عنه ــ بنجدة قد أقبل، وأنه يريد المدينة، وأنه يسبي النساء ويقتل الولدان. قال: إذاً لا ندعه وذاك وهَمَّ بقتاله وحرض الناس، فقيل له: إن الناس لا يقاتلون معك ونخاف أن تترك وحدك فتقتل، فتركه»[1].

وأخرج قصة أبي الأحوص قال: «خرج خوارج، فخرج إليهم فقتلوه»[2]. يعني أنه لما سمع بهم هب لقتالهم فقُتل.

٤ ــ **وأخرج عن ابن عباس** أن علياً أخرجه إلى الخوارج فكلمهم ففرق بينهم، **فقال الخوارج**: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾[3].

٥ ــ **وروي عن عون بن عبد الله، أن عمر بن عبد العزيز** أخرجه إلى الخوارج فكلمهم[4].

٦ ــ **وكان ابن عمر** يراهم شرار الخلق، وقال: انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين[5].

٧ ــ **وروى إسحاق، قال**: «وسئل ــ يعني الإمام أحمد ــ عن الحرورية والمارقة يكفرون وترى قتالهم؟ فقال: اعفني من هذا وقل كما جاء فيهم في الحديث»[6]، أي أنهم مارقة ويقاتلون ــ والله أعلم ــ .

٨ ــ **وأخرج الآجري في الشريعة** «عن ابن طاووس، عن أبيه قال: ذكر لابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ الخوارج وما يصيبهم عند قراءة

---

(١) السنّة ٢/ ٦٤١ ــ ٦٤٢ (١٥٣٧). قال المحقق: إسناده صحيح.

(٢) السنّة ٢/ ٦٤٢ (١٥٣٨).

(٣) المصدر السابق ٢/ ٦٤٢ رقم (١٥٣٩). وقال المحقق: إسناده صحيح.

(٤) المصدر السابق ٢/ ٦٤٢ (١٥٤٠). قال المحقق: إسناده صحيح.

(٥) أخرجه البخاري في الصحيح، استتابة المرتدين، باب ٦؛ والفتح ١٢/ ٢٨٢.

(٦) مسائل الإمام أحمد للنيسابوري ٢/ ١٥٨.

القرآن؟ فقال ــ رضيَ الله عنه ــ : «يؤمنون بمحكمه ويضلون عند متشابهه، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به»[١]. يعني بما يصيبهم عند قراءة القرآن من الصعق والغشي.

٩ ــ **وعن عبد الله بن أبـي يزيد، قال**: سمعت ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ وذكر له الخوارج واجتهادهم وصلاحهم، فقال ــ رضي الله عنه ــ : «ليسوا بأشد اجتهاداً من اليهود والنصارى، وهم على ضلالة»[٢].

١٠ ــ **وعن الحسن البصري** وذكر الخوارج قال: «حيارى سكارى، ليسوا يهوداً ولا نصارى، ولا مجوساً فيعذرون»[٣].

١١ ــ **وعن المعلى بن زياد**: قيل للحسن: يا أبا سعيد خرج خارجي بالخريبة ــ محلة عند البصرة ــ فقال: المسكين رأى منكراً، فأنكره، فوقع فيما هو أنكر منه[٤].

١٢ ــ **ثم قال الآجري**: «فلا ينبغي لمن رأى اجتهاد خارجي قد خرج على إمام ــ عدلاً كان الإمام أو جائراً ــ فخرج وجمع جماعة وسل سيفه واستحل قتال المسلمين، فلا ينبغي له أن يغتر بقراءته للقرآن ولا بطول قيامه في الصلاة ولا بدوام صيامه، ولا بحسن ألفاظه في العلم، إذا كان مذهبه مذهب الخوارج، وقد روي عن رسول الله ﷺ ــ فيما قلته ــ أخبار لا يدفعها كثير من علماء المسلمين، بل لعله لا يختلف في العلم بها جميع أئمة المسلمين»[٥].

---

(١) الشريعة ٢٧، ٢٨.

(٢) السابق ٢٧، ٢٨.

(٣) السابق ٢٧، ٢٨.

(٤) السابق ٢٧، ٢٨.

(٥) السابق ٢٨.

١٣ ــ وقال أيضاً: (باب ذم الخوارج): «وسوء مذاهبهم وإباحة قتالهم وثواب من قتلهم أو قتلوه، قال محمد بن الحسين: لم يختلف العلماء قديماً وحديثاً أن الخوارج قوم سوء عصاة لله ــ عزَّ وجلّ ــ ولرسوله ﷺ، وإن صلوا وصاموا واجتهدوا في العبادة، فليس ذلك بنافع لهم، وإن أظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس ذلك بنافع لهم لأنهم قوم يتأولون القرآن على ما يهوون، ويموهون على المسلمين، وقد حذرنا الله ــ عزَّ وجلّ ــ منهم، وحذرنا النبي ﷺ، وحَذَّرَنَاهُم الخلفاء الراشدون بعده، وحَذَّرَنَاهُم الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ ومن تبعهم بإحسان، رحمة الله ــ تعالى ــ عليهم»[1].

١٤ ــ وأخرج ابن بطة: عن قتادة: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٧] قال: إن لم يكن الحرورية والسبئية فلا أدري من هم؟ ولعمري لو كان أمر الخوارج هدى لاجتمع ولكنه كان ضلالة فتفرق، وكذلك الأمر إذا كان من عند غير الله وجدت فيه اختلافاً كثيراً، فوالله إن الحرورية لبدعة وإن السبئية لبدعة ما أنزلت في كتاب ولا سنّهن نبي.

قال الشيخ: «الحرورية والسبئية الروافض أصحاب عبد الله بن سبأ، الذين حرقهم عليّ بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ بالنار وبقي بعضهم»[2].

---

(١) الشريعة ٢١.

(٢) الإبانة ٢/٦٠٧، ٦٠٨.

لا يلزم من قتالهم أنهم كفار:

ورغم شدة موقف الصحابة والأئمة من بعدهم من الخوارج وقتالهم لهم، إلا أنهم توقفوا في تكفيرهم.

قال شيخ الإسلام: «ومما يدل على أن الصحابة لم يكفّروا الخوارج أنهم كانوا يصلون خلفهم، وكان عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ وغيره من الصحابة يصلون خلف نجدة الحروري، وكانوا أيضاً يحدثونهم ويفتونهم ويخاطبونهم كما يخاطب المسلم المسلم، كما كان عبد الله بن عباس يجيب نجدة الحروري، لما أرسل إليه يسأله عن مسائل، وحديثه في البخاري، وكما أجاب نافع بن الأزرق عن مسائل مشهورة، وكان نافع يناظره في أشياء بالقرآن كما يتناظر المسلمان، وما زالت سيرة المسلمين على هذا، ما جعلوهم مرتدين كالذين قاتلهم الصديق.

هذا مع أمر الرسول ﷺ بقتالهم في الأحاديث الصحيحة، وما روي من أنهم شر قتلى تحت أديم السماء خير قتيل من قتلوه، في الحديث الذي رواه أبو أمامة، رواه الترمذي وغيره[1]، أي أنهم شر على المسلمين من غيرهم، فإنهم لم يكن أحد شراً على المسلمين منهم؛ لا اليهود ولا النصارى، فإنهم كانوا مجتهدين في قتل كل مسلم لم يوافقهم، مستحلين لدماء المسلمين وأموالهم، وقتل أولادهم، مكفرين لهم، وكانوا متدينين بذلك لعظم جهلهم وبدعتهم المضلة. ومع هذا، فالصحابة ـ رضي الله عنهم ـ والتابعون لهم بإحسان لم يكفّروهم، ولا جعلوهم مرتدين، ولا اعتدوا عليهم بقول ولا فعل، بل اتقوا الله فيهم وساروا فيهم السيرة العادلة، وهكذا سائر فرق أهل

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير ٤/ ٢٩٤، وقال: «هذا حديث حسن»؛ وأحمد في المسند ٢٥٣، ٢٥٦؛ وابن ماجه (مختصراً) في المقدمة ١/ ٦٢.

البدع والأهواء من الشيعة والمعتزلة وغيرهم»[1].

وقال: «والخوارج كانوا من أظهر الناس بدعة وقتالاً للأمة وتكفيراً لها، ولم يكن في الصحابة من يكفّرهم، لا علي بن أبي طالب ولا غيره، بل حكموا فيهم بحكمهم في المسلمين الظالمين المعتدين، كما ذكرت الآثار عنهم بذلك في غير هذا الموضع»[2].

وقال في الخوارج وغيرهم من أهل الأهواء: «وهذا بخلاف بدعة الخوارج، فإن أصلها ما فهموه من القرآن فغلطوا في فهمه، ومقصودهم اتباع القرآن باطناً وظاهراً، ليسوا زنادقة. وكذلك القدرية أصل مقصودهم تعظيم الأمر والنهي، والوعد والوعيد، الذي جاءت به الرسل ويتبعون من القرآن ما دل على ذلك، فعمرو بن عبيد وأمثاله لم يكن أصل مقصودهم معاندة الرسول ﷺ كالذي ابتدع الرفض.

وكذلك الإرجاء، إنما أحدثه قوم قصدهم جعل أهل القبلة كلهم مؤمنين، ليسوا كفاراً، قابلوا الخوارج والمعتزلة فصاروا في طرف آخر. وكذلك التشيع المتوسط الذي مضمونه تفضيل عليّ وتقديمه على غيره، ونحو ذلك لم يكن هذا من إحداث الزنادقة بخلاف النص فيه والعصمة، فإن الذي ابتدع ذلك كان منافقاً زنديقاً»[3].



---

(١) منهاج السنّة ٥/ ٢٤٧، ٢٤٨.

(٢) الفتاوى (٧/ ٢١٧، ٢١٨ (الإيمان).

(٣) الفتاوى ١٧/ ٤٤٦.

من رجال الخوارج ورؤوسهم الأوائل

١ ـ مشاهيرهم من الأدباء والشعراء :

قال الأشعري : «ومن العلماء باللغة وهو من الخوارج ، أبو عبيدة معمر بن المثنى ، وكان صفرياً»[١] .

«ومن شعرائهم عمران بن حطان»[٢] ، وهو صفري .

٢ ـ مؤلفوهم ومتكلموهم :

«ومن مؤلفي كتبهم ومتكلميهم : عبد الله بن يزيد ومحمد بن حرب ، ويحيى بن كامل ـ وهؤلاء أباضية ـ ؛ واليمان بن رباب ـ وكان ثعلبياً ثم صار بيهسياً ـ ، وسعيد بن هارون ـ وكان فيما أظن أباضياً»[٣] .

٣ ـ من نسب إليهم من السلف :

«والخوارج تدعي من السلف أبا الشعثاء جابر بن زيد ، وعكرمة ، وإسماعيل بن سميع ، وأبا هارون العبدي ، وهبيرة بن مريم»[٤] ، وقد نسب إلى بعض هؤلاء موافقة الخوارج في بعض مقالاتهم ، لا أنهم من الخوارج الخلّص ـ والله أعلم ـ .

وذكر الشهرستاني أن من رؤوس الخوارج :

---

(١) مقالات الإسلاميين ١/١٩٨ ، ١٩٩ .

(٢) السابق ١/١٩٨ ، ١٩٩ .

(٣) السابق ١/٢٠٠ .

(٤) السابق ١/٢٠٠ .

أولاً: الذين نازعوا علياً حين رفع المصاحف وأمروه بالتوقف:

١ ـ الأشعث بن قيس الكندي.

٢ ـ ومسعر بن فديك التميمي.

٣ ـ وزيد بن حصين الطائي[1].

ثانياً: أهل حروراء، وذكر من رؤوسهم:

١ ـ عبد الله بن الكواء.

٢ ـ وعتاب بن الأعور.

٣ ـ وعبد الله بن وهب الراسبـي.

٤ ـ وعروة بن جرير.

٥ ـ ويزيد بن أبـي عاصم المحاربـي.

٦ ـ وحرقوص بن زهير (ذو الثدية)[2].

ثالثاً: أول من بويع من الخوارج بالإمامة:

أول من بايعه الخوارج: عبد الله بن وهب الراسبـي في منزل زيد بن الحصين، بايعه عبد الله بن الكواء وعروة بن جرير ويزيد بن عاصم وجماعة[3].

رابعاً: يقال إن أول من تلفظ بـ (لا حَكَمَ إلا الله) الحجاج بن عبيد الله، الملقَّب بـ (البرك)[4].

خامساً: أول سيف سل من الخوارج سيف عروة بن جرير[5].

---

(١) انظر: الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١١٤.

(٢) المصدر السابق ١/ ١١٥.

(٣) المصدر السابق ١/ ١١٧.

(٤) المصدر السابق ١/ ١١٧.

(٥) المصدر السابق ١/ ١١٧، ١١٨.

قبول رواية الخوارج في الحديث

«قال أبو داود: ليس في أهل الأهواء أصح حديثاً من الخوارج، ثم ذكر عمران بن حطان وأبا حسان الأعرج»[1].

وكان عمران تزوج امرأة من الخوارج، فكلموه فيها، فزعم أنه يردها إلى السنّة والجماعة، فأضلته وذهبت به»[2].

قلت: وهذا من نتائج مخالطة أصحاب الأهواء ومعاشرتهم. فهذا عمران بن حطان وهو من هو في اعتداده بنفسه يتأثر بمعاشرة امرأة، ألا فليعتبر العاقل اللبيب، وهذه نصيحة أوجهها إلى أولئك الذين لا يبالون مع من يجلسون ومن يخالطون، أو ربما يوالون صاحب الهوى والبدعة لمجرد موافقته لهم في شعار أو رأي أو عمل أو مصلحة دنيوية، ثم هم يدّعون بعد ذلك أنهم لا يؤثِّر عليهم أحد!!

وهذا، والله، التفريط ومن علامات الخذلان. نسأل الله السلامة.

فليس بعد قول (النبي ﷺ) قول، ولا بعد حكمه حكم، حيث قال في الحديث الذي رواه أبو هريرة ــ رضي الله عنه ــ : أن النبي ﷺ قال: **(الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)**[3].

---

(١) تاريخ الإسلام ٨١ ــ ١٠٠/ ١١٥.

(٢) تاريخ الإسلام ٨١ ــ ١٠٠/ ١٥٥؛ والأغاني ١٧/ ١١٠.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس الحديث (٤٨٣٣)؛ والترمذي في كتاب الزهد، باب (٤٥)، الحديث (٢٣٧٨)، وقال: «هذا حديث حسن غريب»؛ والألباني في صحيح الجامع الصغير، (٣٥٣٩)، وقال: (حسن).

أشهر مواطن الخوارج

قال الأشعري: «والكور التي غالب عليها الخارجية: الجزيرة، والموصل، وعُمَان، وحضرموت، ونواح من نواحي المغرب[1]، ونواح من نواحي خراسان. وقد كان لرجل من الصفرية سلطان في موضع يقال له سجلماسة على طريق فرغانة[2].

وقال السكسكي في البرهان: «والغالب على مساكنهم ـ فيما تقدم ـ: عمان، والموصل، وحضرموت، وفلجاج[3]، وجزيرة كيسوان في بلاد فارس، ومغرب الشام، وصنعاء اليمن»[4].

وقال: والفرقة العاشرة من الخوارج: هم الشراة، الذين يكفّرون أصحاب المعاصي في الصغائر والكبائر، ويتبرؤون من الختنين: عثمان وعليّ، ويتولّون الشيخين: أبا بكر وعمر، وهم لا يستحلون أموال الناس ولا يسبون النساء، ولا يخالفون في دين ولا سنة، وهم يقولون: العصاة كفار نعمة لا كفار شرك، وهم في ناحية هراة، وإصطخر[5] بين داراجرد،

---

(١) توجد الخوارج الأباضية في تونس وليبيا والجزائر.

(٢) مقالات الإسلاميين ١/٢٠٧؛ والجزيرة المذكورة هنا هي جزيرة العراق، وهي البلاد الواقعة بين نهري دجلة والفرات، وسجلماسة في المغرب.

(٣) ويغلب على الظن أنها الأفلاج. انظر: معجم البلدان ٤/ ٢٧١.

(٤) البرهان ١٨، ١٩.

(٥) هراة في أفغانستان، وإصطخر من بلاد فارس.

وكرمان، ولهم كتب وضعوها على تصحيح مذهبهم، فيها حجج وكلام صعب، وفيهم علماء، وفقهاء، ولهم مروءة ظاهرة، ودنيا واسعة وخصب، وقد ظهر فيهم اليوم مذاهب المعتزلة، فمنهم من ترك مذهبه وقال بالاعتزال، فنعوذ بالله من الضلال كله»[١].

وقال الملطي بعد ذكره لإحدى فرق الخوارج: «وهم بناحية سجستان، وهراة، وخراسان، وهم عالم كثير لا يعرف عددهم إلا الله، وهم أصحاب خيل وشجاعة»[٢].

أما في عصرنا، فإن أبرز مواطن الأباضية في عُمَان والشمال الأفريقي، وسيأتي مزيد كلام عنهم في المبحث الثاني من هذا الفصل.



(١) التنبيه والرد ٥٣، ٥٤.

(٢) التنبيه والرد ٥٣.

الخوارج مستمرون إلى آخر الزمان

قال شيخ الإسلام بعد أن ساق الأثر الذي فيه أن علامتهم ذو الثدية: «وهذه العلامة التي ذكرها النبي ﷺ هي علامة أول من يخرج منهم ليسوا مخصوصين بأولئك القوم، فإنه قد أخبر في غير هذا الحديث أنهم لا يزالون يخرجون إلى زمن الدجال، وقد اتفق المسلمون على أن الخوارج ليسوا مختصين بذلك العسكر»[1].

وقد جاء من حديث عليّ ـ رضي الله عنه ـ: «وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة**)»[2].



---

(١) الفتاوى ٢٨/ ٤٩٥، ٤٩٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (٨٨)، باب (٦)، الحديث (٦٩٣٠)؛ والفتح ١٢/ ٢٨٣.

نزعات الخوارج
وفرقهم في العصر الحاضر

قلت: ونزعات الخوارج بدأت تظهر في بعض الجماعات القائمة اليوم، كالتكفير، والهجرة.. ونحوهم.

وغالباً نراها في بعض الشباب الذين لم يكتمل علمهم، ولم يتلقوا عن العلماء، وإنما يتتلمذ بعضهم على بعض، أو على الكتب دون رجوع لأهل العلم. كما نشاهدها في كثير من المثقفين وأصحاب الشعارات الذين لم يتفقهوا في الدين على نهج سليم، إنما رصيدهم العواطف.

هذا بالإضافة إلى وجود فرقة كبرى تُعد امتداداً طبيعياً ــ تاريخياً وعقدياً ــ للخوارج الأولين، وهي الأباضية. وهذا ما سأتحدث عنه في المباحث التالية، إن شاء الله.



المبحث الثاني

فرقة الإباضية

نشأتهم وتاريخهم وأصولهم ومعتقداتهم



توطئة

هذه دراسة موجزة حول فرقة، من أكبر فرق الخوارج، والتي لا تزال باقية ولها أتباع وتراث عقيدي وفقهي وتاريخي كبير حافل، ألا وهي: فرقة الأباضية، وقد حصرت هذه الدراسة في الجانب العقدي والنشأة وما يتفرع عنها من مسائل، كالإمامة والمواقف التاريخية التي هي ثمرة لأصول الاعتقاد.

وبالرغم من قناعتي (في العموم) بما توصلت إليه، إلا أن هذه الدراسة لا تزال تحتاج إلى مزيد من التوسع والشمول علمياً ومنهجياً.

وما توصلت إليه في هذا البحث، فقد وثقته بما وقع في يدي من كتب الأباضية أنفسهم قديماً وحديثاً، والتي أشرت إلى أكثرها في هامش البحث. وأحياناً قليلة أعتمد على الكتب الناقلة لمقالاتهم أو الناقلة عن مصادرهم.

وقد حاولت الاقتصار ــ بعد عرض موجز للنشأة والتاريخ ــ على الأصول والمسائل العقدية والمنهجية المهمة، التي خالفت فيها الأباضية أهل السنّة والجماعة منذ عهد الصحابة والتابعين حتى الآن، ولم يكن غرضي بيان جميع أصولهم وعقائدهم تفصيلاً، كما لم يكن همي بيان ما وافقوا به السلف، إذ إن جملة أصولهم الاعتقادية تخالف أصول أهل السنّة، وما وافقوا به السنّة ربما لم يكن قصدهم به ذات الموافقة؛ لأنهم يرون السلف من جملة المخالفين غالباً، وهذه بدعة مضلة، فإن من أصولهم: اعتقادهم

أنهم هم المؤمنون وغيرهم يسمونه مخالفاً، بما في ذلك أهل السنّة والجماعة، لكنهم مع ذلك قد يجلّون بعض الأئمة بأفرادهم، كالإمام أحمد والبخاري ومسلم؛ وهذا ما تتفق عليه غالب الفرق، وهذا ـ أي مخالفتهم للسلف في بعض الأصول والمناهج ـ مما حاولت بيانه من خلال هذا العرض السريع.

وأخيراً، فإن هذه مني محاولة للتعرف على ما كانت عليه الأباضية قديماً وحديثاً، موازنة بمنهج السلف، دون أن أتعرض لحكمهم وحكم الإسلام فيهم، ورأي أئمة السلف وعلماء السنّة في معتقداتهم تفصيلاً؛ لأن هذه مسألة كبيرة لا يتسع لها هذا العرض الموجز. أما على وجه الإجمال فمما هو معلوم بداهة عن أهل العلم، أن أئمة السلف لم يكفّروا الخوارج والأباضية منهم من باب أولى، فهم أقل الخوارج غلوّاً. لكنهم يوافقون الخوارج في غالب أصولهم، ولذلك بدَّعوهم وعدّوهم من أهل الأهواء، وعملوا بخبر النبي ﷺ وأمره فيهم، كما أن الأباضية المتأخرين دخلهم التجهم والاعتزال وعلم الكلام في كثير من أصول العقيدة.

كما أنه متقرر عنهم سلفاً عند العلماء (وهو ما حاولت إبرازه): «أنهم من فرق الخوارج، وأنهم أقلهم غلوّاً. ومن هنا، فإنه من المؤمل أن يكونوا أقربهم إلى قبول الحق والحوار الجاد. وفقنا الله وإياهم لما فيه الخير والحق والهدى، وهدانا جميعاً إلى الصراط المستقيم.

هذا وقد قَسَّمت هذا الموجز إلى ثلاثة مباحث رئيسة:

(١) في التعريف بالأباضية وتاريخها.

(٢) في معتقدات الأباضية.

(٣) خلاصة ونتائج واقتراحات.



(١)
التعريف بفرقة الأباضية

الأباضية: إحدى الفرق الأربع الكبرى من فرق الخوارج[١]، وهي الأزارقة، والنجدات، والصفرية، والأباضية.

١ ـ سبب تسميتها بالأباضية:

وسميت (الأباضية) نسبة إلى عبد الله بن أباض، أحد بني مرة بن عبيد، من بني تميم، رهط الأحنف بن قيس، وابن أباض يُعدّ من طبقة التابعين، ولم تذكر المصادر الموثوقة تاريخ وفاته وولادته، لكنها تجمع على أنه عاصر عبد الملك بن مروان، المتوفى سنة (٨٦هـ)، وأنه أحد رؤوس الخوارج. وقد أجمعت الأباضية قديماً وحديثاً على إمامته فيهم[٢]، وانتسابهم إليه.

وعبد الله بن أباض هذا لم يكن مشهوراً بالإمامة في السنّة كشهرة أعلام

---

(١) راجع: كتاب معالم الدين للمصعبي (أباضي) ٢/ ٢٣١؛ والملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٣٤؛ والفرق بين الفرق ٢٤، ١٠٣؛ والفرق المفترقة للعراقي ١٤؛ ومقالات الإسلاميين ١٨٣؛ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ٥٧؛ وآراء الخوارج الكلامية للطالبي ١/ ٢٠٣.

(٢) انظر: المصادر السابقة. والأباضية لعلي يحيى معمر ٣٠؛ ومختصر تاريخ الأباضية للباروني ص ١٩؛ والعقود الفضية في أصول الأباضية لسالم بن حميد الحارثي، ص ١٢١.

التابعين، من حيث العلم والإمامة بالحديث أو التفسير أو الفقه، إنما جاءت شهرته من موقفه من إمامة عبد الملك بن مروان وخلفاء بني أمية، وعبد الله بن الزبير، ومن خلال نسبة أصول الأباضية إليه كما أسلفت، ومن خلال مخالفته لنافع بن الأزرق ـ كما سيأتي بيانه ـ.

وليس هناك دليلٌ قاطعٌ على أنه قال بكل أصول الأباضية، فربما يكون انتسابهم إليه كانتسابهم إلى جابر بن زيد حيث جعلوه إماماً لهم في أصولهم، وهو من أكثرها بريء، وإنما جاء ذكر جابر بن زيد هذا عند الأباضية من خلال رجوع ابن أباض إليه وتعويله عليه في بعض الآراء والفتاوى، فحلا لهم أن يتشبثوا به ليكون في إمامته وفضله وشهرته مرتكزاً وموثقاً لهم[١]. لكن نقل عن جابر بن زيد أنه تبرأ من الأباضية أكثر من مرة[٢]، **والله أعلم**.

وخلاصة القول: أن ابن أباض الذي تنتمي إليه الأباضية كان من زعماء الخوارج ويوافقهم في غالب أصولهم المعروفة في زمانه[٣]، إنما خالفهم في بعض أحكام المسلمين المخالفين لهم، ومخالفته لهم كمخالفة بعضهم لبعض، على نحو ما فعل نجدة بن عامر، ونافع بن الأزرق، وابن الصفار؛ فهؤلاء كلهم هم رؤوس الخوارج في زمانهم، مع ما بينهم من خلافات. وعليه فإن ابن أباض يُعدّ من رؤوس الخوارج وأقطابهم في زمانهم على ما سأبينه بعد.

---

(١) انظر: مختصر الأباضية ٢٤؛ وفقه الإمام زيد ليحيى بكوش ٢٦، ٢٩؛ وطبقات المشايخ للدرجيني ٢/ ٢٠٥؛ وطلقات المعهد الرياضي لسالم بن حمود ٧، ٢٩؛ والعقود الفضية للحارثي ٩٤.

(٢) انظر: طبقات ابن سعد ٧/ ١٨١، ١٨٢؛ وتهذيب التهذيب ٢/ ٣٨.

(٣) فقد كانت أصول الخوارج أقل شمولية في وقت ابن أباض منها فيما بعد، حيث صارت خليطاً من أصول الخوارج الأولين (المحكمة الحرورية) وعقائد المعتزلة والجهمية وأهل الكلام. ويوافقون السنّة في أصول أخرى.

هذا مع العلم أن من علماء الأباضية من يذكر الأباضية من فرق الخوارج، كما فعل المصعبي في معالم الدين[1] وغيره.

٢ ــ نشأتها[2]:

الأباضية في أصل نشأتها العقدية والتاريخية فرقة من فرق الخوارج، نشأت على أصولهم، وتفرعت عنهم كسائر فرقهم الكبرى، ذلك أن ابن أباض، الذي تنتمي إليه، نشأ خارجياً وهو يُعدّ من رؤوس الخوارج في زمنه، ويقرن تاريخه ومواقفه مع كبارهم، كنافع بن الأزرق، وأبي بلال مرداس، وعبد الله بن الصفار السعدي، وحنظلة بن بيهس، وحسان بن بحرج، وأبي طالوت، وأبي فديك، وعطية بن الأسود البكري، ونجدة بن عامر الحنفي، وعبيد الله بن الماجوز وأخويه عبد الله والزبير.

فكان عبد الله بن أباض واحداً منهم، خارجاً عن جماعة المسلمين وعلى أئمتهم، منابذاً للأئمة العداء، كما كان ناقماً على عثمان بن عفان وعليّ ــ رضي الله عنهما ــ، وكان يعلن ذلك، ومواقفه تشهد بذلك منذ خلافة معاوية ــ رضي الله عنه ــ إلى خلافة عبد الملك، وإنما كان كغيره من مؤسسي فرق الخوارج، فقد كانوا تحت قيادة واحدة حين أعلنوا عداءهم لابن الزبير، وكان ابن أباض مثلهم في ذلك، بل كان أحدهم، إلا أنهم حين

---

(١) كتاب معالم الدين ٢/ ٢٣١، ويذكر سالم بن حمد الحارثي (أباضي معاصر)، أن المصعبي يُعدّ: «أحد أقطاب علماء الأباضية». مقدمة كتاب معالم الدين ٩. وانظر: مقدمة شرح الجامع الصحيح مسند الربيع للسالمي، كتبها عز الدين التنوخي ١٣/ ل، م.

(٢) راجع: العقود الفضية ص ١٢١، ١٢٢؛ ومختصر تاريخ الأباضية للباروني ١٩، ٢٣؛ والأباضية بين الفرق الإسلامية لعلي يحيى معمَّر، ٢٥٣، ٣٥٤؛ والأباضية دراسة مركزة في أصولهم وتاريخهم لعلي يحيى معمر ٣٠، ٣٢؛ وتاريخ الطبري ٧/ ٥١٧؛ والكامل للعبود ٣/ ١٢٠، ١٠٢٣؛ والكامل لابن الأثير ٣/ ٢٣٦، ٢٣٧.

انفضوا عن ابن الزبير ورأى نافع بن الأزرق أن جميع المسلمين كفار مثل كفار العرب لا يقبل منهم إلا الإسلام أو القتل، وأنهم لا تحلّ مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم ولا ميراثهم ولا الإقامة بينهم، حينئذ خالفه ابن الصفار، فأنشأ فرقة: (الصفرية).

وخالفه ابن أباض وقال: إن القوم ــ يعني المسلمين ــ برآء من الشرك، ولكنهم كفار بالنعم، ولا يحل لنا إلا دماؤهم، وبهذا نشأت فرقة (الأباضية)، ومن ثم جاءت تسمية الذين لم يخرجوا مع نافع بن الأزرق (القَعَدة) وأتباع نافع بن الأزرق سُمّوا: (الأزارقة).

وهذه المسألة هي أهم مسائل الاختلاف بين الأباضية وبين غالب الخوارج، مع بقاء القاسم المشترك بينهم منها، وهو البراءة[1] من المسلمين، والخروج عن جماعتهم وأئمتهم ــ كما هو معلوم من تاريخهم ــ . وكذلك في الأصول التي خالفت فيها الخوارج أهل السنّة، فإن الأباضية كسائرهم.

وتاريخ نشأة الأباضية الأولى لم يخرج عن سمات بقية الخوارج، من حيث قتالهم للمسلمين (في المشرق والمغرب)، ومن حيث خروجهم على الجماعة والأئمة طيلة التاريخ الإسلامي، ومن حيث أخذهم بأصول الخوارج العقدية على وجه العموم، وإن خالفوهم في بعضها، وكانت فرق الخوارج في ذلك الوقت متفرقة في البصرة، وهي قاعدتها الأولى، وخراسان وعمان[2].

---

(١) فالأباضية تقول: إن المخالفين كفار، لكنهم كفار نعمة؛ والأزارقة يقولون: إن غيرهم من المخالفين كفار مشركون. ومما يجدر ذكره أن الأباضية يرون أن كفر النعمة مناف للإيمان! انظر: تعليق الخليل على مشارق الأنوار ص ٣٢٤.

(٢) انظر: طلقات المعهد الرياضي ٧٩، ١٣٣.

وبعد أن تميزت الأباضية استقرت في موطنين:

الأول: عمان على الساحل الشرقي الجنوبـي من جزيرة العرب، وتذكر بعض مصادر الأباضية وغيرهم أن أول من نشر مبادئهم في عمان: عمران بن حطان، الشاعر المشهور، بعدما خرج من حبس الحجاج بن يوسف الثقفي سنة (٧٥هـ)[1].

كما تذكر مصادرهم أن الحجاج نفى جابر بن زيد، المتوفى سنة (٩٣هـ)، إلى عمان، فأسس مذهب الخوارج هناك في قبائل الأزد[2].

ولكنَّا ـ أهل السنّة ـ نشك أن يكون جابر بن زيد، ـ وهو من أئمة التابعين ـ خارجياً أباضياً خالصاً، لأنه لم ينقل ذلك نقلاً صحيحاً مع شهرته، وكثرة ما نقل عنه، إلا أنه يحتمل أن يوافقهم في بعض قولهم، وأن يكونوا تتلمذوا عليه في الفقه والتفسير والحديث، وقد يكون روى عن بعض رؤوسهم، وهذا لا يعني كونه أباضياً خالصاً، فقد رُوي عنه براءته منهم؛ قال ابن حجر في تهذيب التهذيب: «وقال داود بن أبـي هند عن عزرة: دخلت على جابر بن زيد، فقلت: إن هؤلاء القوم ينتحلونك ـ يعني الأباضية ـ ، قال: أبرأ إلى الله من ذلك»، وقد اتهمه يحيـى بن معين بأنه أباضي. ولعله يعني بذلك بعض قوله الذي وافقهم فيه»[3].

الثاني: المغرب العربـي في أجزاء من أرض ليبيا وتونس والجزائر على نحو ما سنذكره في موجز تاريخها وفي أماكنها.

---

(١) انظر: طبقات المشايخ بالمغرب لأحمد الدرجيني ٢/٢٢٧، ٢٢٨؛ والكامل للمبرد ٢/١٩٣؛ والفرق بين الفرق ٩٣؛ وديوان الخوارج ١٠٥.

(٢) انظر: العقود الفضية ١٤٥؛ وإزالة الوعثاء للسمائلي ٣٨ وما بعدها؛ وسير شماخي ٩٣.

(٣) انظر: تهذيب التهذيب ٢/٣٨؛ وطبقات ابن سعد ٧/١٨١، ١٨٢.

والجدير بالذكر أن أول دعاة الأباضية في شمال أفريقية، كما تذكر مصادرهم: (سلمة بن سعد)[1]، في أول القرن الثاني للهجرة، حيث وجد بين (البربر) أرضاً خصبة لنشر دعوة الأباضية بينهم. ولما تمكنت دعوته، أرسل خمسة من تلاميذه إلى المشرق لينهلوا منابع الأباضية في المشرق، وهم: (أبو الخطاب المعافري، وعبد الرحمن بن رستم [من سلالة كسرى]، وعاصم السدراتي، وإسماعيل بن درار الغدامسي، وأبو داود القبلي النفزاوي). فهؤلاء المؤسسون الأوائل للأباضية في المغرب، وليبيا، وتونس، والجزائر[2] عقيدة ودولة، حيث خرجوا على إمامة المسلمين بالسلاح، وأقاموا دولة خارجة عن الخلافة[3] كما بينت في تاريخهم.

٣ ــ الأباضية من بين فرق الخوارج:

إذا عرفنا أن الأباضية فرقة من فرق الخوارج الكبرى، بإجماع المؤرخين الذين عاصروهم ومن بعدهم، فإنه من الضروري أن نتعرف على موقع (الأباضية) بين فرق الخوارج، فأقول: إن الأباضية لا تخالف سائر الخوارج في غالب أصولهم، وأشهر مسألة اختلفوا فيها مع غيرهم من فرق الخوارج بعد أن فارقوا ابن الزبير، حيث لم يبرأ من عثمان ــ رضي الله عنهما ــ، وهي:

مسألة الموقف من المخالفين، أي حكمهم على بقية المسلمين، فأغلب الخوارج يرون ما عداهم من المسلمين كفاراً مشركين، يجب قتالهم

---

(١) انظر: الأباضية في موكب التاريخ، الحلقة الرابعة؛ والأباضية في الجزائر لعلي معمر ٢١ وما بعدها.

(٢) انظر: طبقات المشايخ بالمغرب ١/ ١١، ٢٠؛ والعقود الفضية ١٠٣ و ١٨٣ و ١٨٤؛ وطلقات المعهد الرياضي ٥٣، ٦٢.

(٣) هي الدولة الرستمية. انظر: الأباضية في موكب التاريخ، الحلقة الرابعة؛ والأباضية في الجزائر ٢٠، ٣٤.

ولا يجوز مناكحتهم ولا إرثهم ولا أكل ذبائحهم، ودارهم دار حرب. أما الأباضية، فإنها وإن رأت جواز قتال المسلمين أحياناً، إلا أنها تقول: بأنهم كفار نعمة، ويجرون عليهم أحكام الموحدين من حيث النكاح والإرث والسبـي والغنائم، وجواز معايشتهم والإقامة بينهم.

وهذه **المسألة** من المسائل التي أجمع كتاب الفرق على أن الأباضية خالفت فيها سائر الخوارج، وأنها تعد من الفوارق الرئيسة، بل هي الميزة التي أضفت على الأباضية سمة الاعتدال تجاه المخالفين، والتي جعلت الأباضية تعايش بقية المسلمين وتسالمهم حتى اليوم.

ويحاول بعض الأباضية المتأخرين ــ عبثاً وتكلفاً ــ لهذا السبب وغيره، أن يخرج الأباضية من الخوارج[1]، وهذه مغالطة لا يقرهم عليها أحد من أهل العلم[2]، بل إن الأباضية أنفسهم يعتقدون ويقولون ويؤرخون لدعوتهم بما يعطينا الأدلة القاطعة بأنهم من الخوارج (القعدة)، **وإليك الدليل بإيجاز:**

(أ) **الأباضية يوالون الخوارج الأول** (المُحكّمَة) و (الحرورية) أهل النهروان الذين خرجوا على عليّ والصحابة وجماعة المسلمين، وقاتلوهم كعبد الله بن وهب الراسبـي (ويعدونه إماماً)[3]، وبقية رؤوسهم كحرقوص ومرداس وابن حصين، وتعتز الأباضية بإمامتهم، وأنها أخذت عنهم الدين[4].

---

(١) انظر: الأباضية بين الفرق الإسلامية ٢٤٧.

(٢) راجع ص ٤٢ وما بعدها من هذا المبحث.

(٣) انظر: أصدق المناهج للسمائلي ٢٥؛ ومقدمة التوحيد للشماخي ٧٠، ٩٣؛ والدليل والبرهان للوارجلاني ٣/ ١٥٣؛ وطلقات المعهد الرياضي ٢١ وما بعدها.

(٤) انظر: تحفة الأعيان للسالمي ١/ ٨٥ و ٨٦.

وبعضهم جعل من ألقاب الأباضية في المغرب (وهبية)، نسبة إلى عبد الله بن وهب الراسبي الحروري[1].

(ب) **أن افتراق الأباضية عن بقية الخوارج** كان على مسائل قليلة، وبقيت سائر أصولهم هي أصول الخوارج، فهم كالصفرية، بل إن الصفرية والأباضية كلهم يمثلون الخوارج (القعدة) الذين قعدوا عن الخروج مع نافع بن الأزرق، ثم انشعبت القعدة إلى شعبتين على هذا النحو، فكانت الأباضية أكثر مسالمة للمسلمين، وأخف نزوعاً إلى التكفير، وأكثر ميلاً إلى التعايش مع سواهم. لكنهم لم يخضعوا لسلطة الولاية الشرعية، وكلما قويت شوكتهم حاربوا من يليهم وقاتلوا أئمة المسلمين وجماعتهم، كما هو واضح من تاريخهم، الذي سطروه[2] لا سيما في شمال أفريقيا.

(ج) **أن تاريخهم يشهد عليهم** بأنهم كانوا دائماً يمثلون (الخوارج) بعد اندثار الخوارج الغالية، فالأباضية بقيت خارجة طيلة التاريخ الإسلامي، الذي اجتمعت فيه كلمة المسلمين وجماعتهم على الإمامة والخلافة الشرعية في الدولة الأموية والعباسية وغيرهما، فكانوا خارجين على الأئمة، إما بالقوة إن قدروا، وإما بالاعتقاد ونزع الولاء الشرعي، إذ هم ــ حتى الآن ــ لا يوالون الأئمة الشرعيين للمسلمين[3]، إلا من كان منهم، ويستثنون أبا بكر، وعمر، وعمر بن عبد العزيز؛ ومن عداهم لا يقرون بشرعية إمامته إلا من كان منهم ــ أي خارجياً ــ .

---

(١) انظر: كتاب الجامع الصغير لمحمد بن يوسف أطفيش ١/ ٧٦، ١٢٧.

(٢) راجع: مختصر تاريخ الأباضية للباروني.

(٣) انظر: مختصر تاريخ الأباضية للباروني، تجد أنه يصور دويلات الأباضية وتجمعاتهم بأنها هي التي تمثل إمامة المسلمين وتجمعات المؤمنين، وأنها هي المثال للحياة الإسلامية، وأن الدول الإسلامية (الأموية والعباسية) وغيرهما تمثل تاريخ الانحراف والظلم والجور والاحتلال. . . إلخ.

(د) مشاركتهم سائر الخوارج في البواعث الأولى لخروجهم وشذوذهم عن جماعة المسلمين، من الطعن ببعض الصحابة ـ كعثمان وعليّ[1] ـ وتضخيم قضية (التحكيم)، والمبالغة في مسألة (الشورى) في الحكم، والمبالغة في مسألة الخروج على الظلم والطغيان والتكفير للعصاة والبراءة منهم. . . إلخ.

(هـ) أن للأباضية أسماء أُخرى تجمعهم مع سائر الخوارج أو أكثرهم، وبعض هذه الأسماء يواليها الأباضية، وقد يطلقونها عليهم مثل: (المحكمة) و (الشراة) و (الجماعة المؤمنة) و (أهل الحق)[2] و (أهل الدعوة)[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد ذكر أسماء الخوارج: «ومن أصنافهم الأباضية أتباع عبد الله بن أباض، والأزارقة أتباع نافع بن الأزرق، والنجدات أتباع نجدة الحروري»[4].

٤ ـ موجز تاريخ الأباضية:

نشأتها الأولى:

بما أن تاريخ الأباضية جزء لا يتجزأ من تاريخ الخوارج في العموم، وعلى هذا فيمكن تقسيمه إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: مرحلة ما قبل تمييز الأباضية عن بقية الخوارج. أي المرحلة التي بدأت فيها حركات الخوارج الغلاة، الذين قاتلوا علياً وواجهوا

---

(١) انظر: طلقات المعهد الرياضي ٢١، ٢٢.

(٢) انظر: مقدمة التوحيد ٧١؛ ومقالات الإسلاميين ١/ ٢٠٧؛ وأصدق المناهج ٢١، وعمان في فجر الإسلام لسيدة كاشف ٦٩.

(٣) انظر: الأباضية (دراسة مركزة) ٣٠.

(٤) الفتاوى ٧/ ٤٨١.

الصحابة، ثم واجهوا الدولة الأموية في عهد معاوية ومن بعده، وانضموا إلى ابن الزبير، وكان منهم عبد الله بن أباض، مؤسس الأباضية، مع رؤوس الخوارج كنافع بن الأزرق، وابن الصفار، وأبـي بيهس، ونجدة الحنفي.

ولما علموا أن ابن الزبير يوالي عثمان ــ رضي الله عنه ــ ويدافع عنه فاصلوه ونابذوه العداوة، وكان منهم ابن أباض هذا، وإن لم يشهد الموقف، وهذه المرحلة لا نستطيع أن نجعلها تاريخاً حقيقياً للأباضية، لأنهم لا يقولون بجميع مقولات الخوارج التي خرجوا بها على الأمة، لكنا من ناحية أخرى نجزم بأن أصولهم العقدية الفكرية والسياسية ترجع إلى أصول الخوارج، أو بعبارة أصح أصولهم تمثل بحق أصول الخوارج، لذلك أجمع المؤرخون والباحثون أن (الأباضية) فرقة من الخوارج. وعليه، فتاريخهم الحقيقي يبدأ من المرحلة الثانية.

فإن المرحلة الثانية: من تاريخ الأباضية هي المرحلة التي صاحبت ظهورها، ثم تلت بعد ذلك.

وإنصافاً لهم، فإنا نلخص تاريخهم كما سطروه، وسنُعرِض عما كتبه غيرهم من تاريخهم، فأسوق ذلك مستمداً من كتاب (مختصر تاريخ الأباضية) للباروني (الأباضي)، **على النحو التالي**:

(أ) **يرجع الباحثون الأباضية** وغيرهم أصول الأباضية بهذا الاسم إلى عبد الله بن أباض المعاصر لأول الخلفاء الأمويين، ولعبد الملك بن مروان الأموي بخاصة، فقد استقل ابن أباض عن بقية الخوارج حين خالفهم في مسألة حكم المخالفين لهم في عهد عبد الملك، وفي هذه الحقبة (القرن الأول للهجرة)، لم يكن للأباضية دولة ولا مواقف مشهورة، إلا أنهم كانوا يشكلون جبهة معارضة عقدية وسياسية للإمامة الشرعية (إمامة بني أمية)، ويتضح هذا من خلال رسائل عبد الله بن أباض لعبد الملك بن مروان، التي

تضمنت بيان أنه غير عادل، ولم يحكم بالشرع، وتضمنت الطعن في عثمان ـ رضي الله عنه[1] ـ ، كما يتضح أيضاً في خلال مواجهتهم السياسية للدولة أو مواجهة الدولة لهم لمعارضتهم وخروجهم عن الجماعة والطاعة.

(ب) **وكما نشأ مذهب الأباضية في القرن الأول الهجري في البصرة** وخراسان، ثم عمان وحضرموت في جزيرة العرب[2]، فقد امتد مع بداية القرن الثاني إلى الشمال الأفريقي، ومن أول الحوادث التي تدل على وجودهم ما حصل من (الحارث وعبد الجبار)[3]، اللَّذَيْنِ تعدهم الأباضية من زعمائها.

فقد حدثت منهما مواجهة وحرب للدولة الأموية أيام مروان بن محمد، آخر خلفاء بني أمية، وانتزعا طرابلس، وسيطرا على تلك الناحية حيناً من الدهر[4].

وعلى هذا، فإن تاريخ الأباضية انشطر إلى شطرين:

(١) تاريخ الأباضية في عمان والمشرق.

(٢) تاريخ الأباضية في الشمال الأفريقي.

وبناءً عليه سيكون العرض لكل منهما على حدة.

تاريخها في عمان:

أول نشأة للأباضية بدأت في البصرة وما حولها، ثم عمان وخراسان تبعاً لفلول الخوارج في عهد الدولة الأموية، ولكنها تركزت فيما بعد في

---

(١) انظر: الرسالة التي أرسلها ابن أباض لعبد الملك في مختصر تاريخ الأباضية للباروني ١٩، ٢١.

(٢) انظر: كتاب السيرة وأخبار الأئمة للوارجلاني ٣١.

(٣) انظر: مختصر تاريخ الأباضية ٣١.

(٤) انظر: مختصر تاريخ الأباضية ٥٢، ٥٣.

عمان. بل إن الأباضية حتى اليوم يزعمون أن عمان لم تدخل في السلطة الشرعية للأمويين ومن بعدهم. ولم تخضع للخلافة إلا بالقوة أيام عبد الملك بن مروان، ثم استقلت فيما بعد عن الخلافة[1]. ومع ذلك أيضاً يزعمون أن ولاة الخلفاء الراشدين على عمان كانوا ملوكاً[2]. وهذه نزعة عجيبة تحتاج إلى وقفة.

وفي أول الدولة العباسية وأيام المنصور، عقد الأباضية البيعة لأول إمام لهم بعمان عام (١٣٤هـ)، اسمه (الجلندا بن مسعود)، وبذلك سطروا على أنفسهم وصمة تاريخية بخروجهم على أئمة المسلمين وجماعتهم، وعن الخلافة في أوج عزها وهيبتها، وشذوذهم عن إجماع المسلمين على بيعتها.

ورغم أن هذا ــ في أصل الدين ــ خروجٌ عن الطاعة، وخروجٌ على الجماعة، ونكث للبيعة؛ إلا أن الأباضية ــ قديماً وحديثاً ــ يعدون ذلك في مفاخرهم ومواقفهم الدينية والسياسية والتاريخية التي يبنون عليها أصولهم وأمجادهم.

وقد سير المنصور جيشاً لقتالهم، فهزموا وقتل (الجلندا)، وبعده عقدوا الإمامة لـ (محمد بن عفان)، ثم عزلوه وأقروا (الوارث بن كعب الخروصي) عام (١٧٧هـ)، فقاتله هارون الرشيد، لكنهم هزموا جيش الخلافة وبقي الوارث إماماً لهم حتى مات، وبايعوا بعده (غسان بن عبد الله) إلى سنة (٢٠٧هـ)، حيث توفي، وتوالى الأئمة عندهم بعده على النحو التالي:

---

(١) انظر: مختصر تاريخ الأباضية ٥٢.

(٢) انظر: مختصر تاريخ الأباضية ٥٣، وتأمل هذا التعبير الذي يدل على أن الأباضية لا يعتدون بشرعية الخلافة الإسلامية العظمى (آخر الخلافة الراشدة والأموية والعباسية)، بل عدوا ولايتها نفوذاً لا يعتد به في الإمامة.

ـ عبد الملك بن حميد: بدأت إمامته سنة (٢٠٨هـ)، وتوفي سنة (٢٢٦هـ).

ـ مهنا بن جيفر: بدأت إمامته سنة (٢٢٦هـ)، وتوفي سنة (٢٣٧)هـ.

ـ الصلت بن مالك الخروصي: بدأت إمامته سنة (٢٣٧هـ)، وخلع سنة (٢٧٢هـ).

وبعده وقع الشقاق بين الأباضية، وكان ممن بويع على شقاق (عزان بن تميم)، الذي قتله (محمد بن نور)، عامل الخليفة المعتضد العباسي، وبقيت بعده عمان على حد تعبيرهم (أربعين عاماً تحت النفوذ العباسي)[1]!

ثم تذكر مصادرهم أنهم في سنة (٣٠٠هـ) عقدوا الإمامة لـ (سعيد بن عبد الله القرشي)، وقتل سنة (٣٢٨هـ)، فعقدوا البيعة لـ (راشد بن الوليد) بعد سنة (٣٢٨هـ)، وفي عهده ظهرت دولة بني نبهان، وبظهورها يعتقد الأباضية بسقوط الإمامة وقيام ملك بني نبهان إلى سنة (٤٤٥هـ)، حيث عقدت الإمامة لـ (الخليل بن شاذان الخروصي)، ثم بعده لـ (راشد بن سعيد)، وتوفي سنة (٥١٣هـ).

ثم تغلب بنو نبهان مرة أخرى على عمان، وبقي الصراع بينهم دائراً مع دولة بني بويه، التي سيطرت على سواحل عمان.

وفي سنة (٨٨٥هـ)، عقدت الإمامة لمن يسمونه: (عمر بن الخطاب الخروصي)، لكن انتزعها منه بنو نبهان، وبقي الملك منقسماً بينه وبينهم كل

(١) كل ذلك ملخص من (مختصر تاريخ الأباضية) لأبي الربيع الباروني. وتأمل تعبيرهم عن حكم الخلافة العباسية (بالنفوذ العباسي) سبحان الله! ومع ذلك يزعمون أنهم لا يخالفون المسلمين، بل هناك من يدعي لهم ذلك. وهذا جهل بحقيقة مذهبهم.

له جهته من عمان، وخلال هذه الفترة وقع الاحتلال البرتغالي لسواحل عمان.

وفي سنة (١٠٣٤هـ)، عقدت إمامة الأباضية لـ (ناصر بن مرشد اليعربي) أول ملوك آل يعرب، وبقيت الإمامة في هذه الأسرة التي صارعت البرتغاليين وبقيت بين مد وجزر، وفي صراع أيضاً مع الإيرانيين من جهة، ومع الدولة السعودية الأولى الفتية المناصرة للدعوة السلفية، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من جهة أخرى.

وفي سنة (١١٦١هـ)، بايع الأباضية (أحمد بن سعيد)، وانتقلت الإمامة من (آل يعرب) إلى (آل سعيد)، ولا تزال دولتهم قائمة حتى اليوم[١].

تاريخها في الشمال الإفريقي (المغرب العربي)[٢]:

أول حركة للأباضية عرفت في التاريخ بجهة المغرب العربي ظهور (الحارث وعبد الجبار) الأباضيين على الخلافة الأموية في عهد مروان بن محمد، حيث تمكنا من الاستيلاء على طرابلس الغرب، وقتلا سنة (١٣١هـ).

وفي سنة (١٤٠هـ)، بايع الأباضيون هناك (عبد الأعلى بن السمح اليمني، أبو الخطاب) في ليبيا، ودانت له طرابلس، ثم القيروان وبرقة وفزان، ولم يخضع للدولة العباسية، فأعلن الخروج عليها وصارت بينهما وقائع انتهت بهزيمته وموته سنة (١٤٤هـ)، ومع ذلك لم يخضع الأباضيون

---

(١) انظر: تفاصيل تاريخ الأباضية في شمال أفريقيا، في كتاب السيرة لأبي زكريا يحيى بن أبي بكر (الوارجلاني). وكتاب الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية للباروني.

(٢) راجع كتاب الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية للباروني، القسم الثاني ٦ وما بعدها.

هناك لدولة الخلافة آنذاك (العباسية). بل التف فريق منهم حول (عبد الرحمن بن رستم) من سلالة كسرى، وأسسوا مدينة (تيهرت) عاصمة لهم[1]، لكنه لم يتمكن بقوة.

وفي سنة (١٥٤هـ)، بايعوا (أبا حاتم يعقوب)، فانتزع طرابلس والقيروان، وواجه جيش الخلافة حتى انهزم وفرّ إلى جبال (نفوسة)، ثم طارده العباسيون حتى قتل سنة (١٥٥هـ).

وبعده قامت دولة (بني رستم الأباضية)، من الخوارج على يد مؤسسها الأباضي، حيث التفت حوله الأباضية مرة أخرى (عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن سام بن كسرى آنو شروان)، وهو من سلالة (كسرى) ملك الفرس[2].

وكان قد فرّ حين انهزم أبو الخطاب إلى الجزائر، فاجتمع حوله الأباضية من نفوسة ومكناسة ولماية وهوارة ومزاتة، وبايعوه بالإمامة سنة (١٦٠هـ)، وفي سنة (١٧١هـ) تولى بعده ابنه (عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي)، ثم توالت إمامتهم في عقبه.

وفي سنة (٢٦٩هـ) تقريباً، انتهت الدولة الأباضية الرستمية بالمغرب العربي بانتهاء دولة بني رستم.

وبعدها صاروا يقيمون إمارات صغيرة ومشيخات طائفية إقليمية تنزع إلى الاستقلالية، خاصة في (جبل نفوسة)، وقد تتوسع أحياناً إلا أنهم لم تقم لهم دولة ذات سلطان نافذ أو مدة طويلة بعد الدولة الرستمية هناك[3].

---

(١) في تقديمه لتاريخ الدولة الرستمية، ذكر مؤلف كتاب السيرة وأخبار الأئمة فصلاً عن فضل الفرس والبربر من العجم ص ٤٤، ٥٦.

(٢) راجع كتاب الأزهار الرياضية ٤ وما بعدها.

(٣) راجع المصادر السابقة.

٥ ــ أماكن الأباضية قديماً وحديثاً:

(أ) عمان والمشرق الإسلامي وزنجبار:

أول ما نشأت الأباضية بصفتها فرقة متميزة في عمان وما حولها، وذلك في النصف الثاني من القرن الأول الهجري، وذلك بعد سنة (٦٤هـ)، حين خالف ابن أباض نافعاً بن الأزرق في موقفه من المسلمين حين قال نافع: إنهم مشركون وتجري عليهم أحكام المشركين، وقال ابن أباض: إنهم كفار نعمة يقاتلون ولا تجري عليهم أحكام الكفار.

ومنذ ذلك التاريخ وحتى اليوم وعمان تُعدّ من معاقل الأباضية، يحكمها حكام وسلاطين أو ولاة أباضيون، إلا فترات يسيرة من التاريخ كانت فيها تحت سلطات إسلامية غير أباضية أو استعمارية، لكنها بقيت أباضية من حيث المعتقدات والسكان غالباً، ولا يزال لهم وجود في حضرموت واليمن[1]. وللأباضية عمان امتداد في الساحل الشرقي للخليج (جهة إيران حالياً)، والساحل الشرقي لأفريقيا في (زنجبار)[2]، أو (تنزانيا) كما تسمى حالياً. حيث إن سلاطينها أباضيون حتى بعد وجود الاستعمار، ويظهر أنه بعد الوجود الشيوعي في تنزانيا وضمها إلى تنجانيقا لم يعد للأباضية وجود كبير[3]، بسبب الاضطهاد الشيوعي الخانق.

(ب) المغـرب العربـي:

انتقلت الأباضية إلى المغرب العربـي في النصف الأول من القرن الثاني الهجري في آخر الدولة الأموية، وكان أول انتشارها بين قبائل البربر.

---

(١) راجع الأباضية ــ دراسة مركَّزة ــ (معمر) ٣٣، ٣٤؛ والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ص ١٩.

(٢) مختصر تاريخ الأباضية للباروني ص ٢٦، ٢٧، ٦١؛ والأباضية مذهب إسلامي معتدل لمعمَّر ١٢، ١٩.

(٣) دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين ٩٠؛ والأباضية ــ دراسة مركَّزة ــ ٣٤، ٣٥.

وأشهر مواطنهم في شمال أفريقية: جبل نفوسة، وزوارة، ودمَّر، ونفزاوة بطرابلس في ليبيا، وفي جنوب الجزائر، خاصة وادي مزاب، غرب مدينة الجزائر[1] العاصمة، على بُعد ٤٠٠ كم، ولهم تمسُّك قوي بالأباضية[2]. وفي تونس، خاصة جزيرة جربة، وفي واحات الصحراء المغربية، ولا يزال لهم وجود في تلك البلاد حالياً. وكان لهم امتداد فكري وعقدي غرب السودان؛ ومالي، والأندلس، والمغرب ــ لكنه قليل ــ.

أما امتدادهم السياسي قديماً، خاصة أيام الدولة الرستمية، فقد شمل ليبيا، وتونس، والجزائر كلها؛ وبعد الدولة الرستمية لجأت بعض الأباضية إلى واحات الصحراء المغربية[3].



(١) راجع مختصر تاريخ الأباضية ٢٦، ٢٧، ٤٤؛ ودراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين ٩٠؛ والأباضية في موكب التاريخ ١٢٥؛ والعقود الفضية ٢٥١، ٣٢٧؛ والنظم الاجتماعية والتربوية عند الأباضية ١٩، ٢٠؛ والأباضية بين الفرق الإسلامية ٧٩، ٨٠؛ والأباضية دراسة مركزة ٣٥، ٣٧، ٣٨؛ والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٩.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) نفس المصدر السابق.

(٢)
معتقدات الأباضية

(أ) تفرع عقيدتهم عن الخوارج :

يتفق العلماء والباحثون قديماً وحديثاً على أن (الأباضية) في أصولها العقدية فرع عن الخوارج وتلتقي معهم في أغلب الأصول التي خرجت بها الخوارج عن الأمة، وأن الخلاف الذي انشعبت به عنهم كان في موقفهم من بقية المسلمين، وحكم الإقامة معهم، ومتى يكون قتالهم، وأحكامهم في السلم والحرب[١].

(ب) موجز أصولهم ومعتقداتهم :

في هذا المبحث سأذكر موجز أصولهم ومعتقداتهم في عامة أصول الدين مقارنة مع أهل السنّة من ناحية، ومع الفرق الأخرى من ناحية ثانية. **وبالله التوفيق.**

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري ١/ ١٨٣ وما بعدها؛ والفرق بين الفرق البغدادي ١٠٣؛ والملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٣٣؛ والمعارف لابن قتيبة ٦٢٢؛ ومروج الذهب للمسعودي ٣/ ٢٥٨؛ والكامل لابن الأثير ٣/ ٣٣٥ ـ ٣٣٧؛ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص ٤٩، ٥٧؛ ودراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين د. أحمد جلي ٧٤ ـ ٩٧؛ وتأملات في التراث العقدي للفرق الكلامية (الخوارج) د. عبد السلام محمد عبده ص ٢٨٥ وما بعدها؛ والخوارج في العصر الأموي د. نايف معروف ٢٣٨؛ وتاريخ الفرق الإسلامية لعلي الغرابي ـ ص ٢٨١؛ والأباضية عقيدة ومذهباً / للدكتور صابر طعيمة ١٧ ـ ٢٩ وغيرها.

١ ــ عقيدة الأباضية في أسماء الله وصفاته :

مذهب السلف في الصفات إثبات ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ، من غير تشبيه ولا تأويل.

أما الأباضية فهم:

١ ــ **يقولون** إن صفات الله هي عين ذاته وأن الاسم والصفة بمعنى واحد[١] وبذلك يخالفون أهل السنّة والأشاعرة ويوافقون المعتزلة والشيعة الإمامية[٢].

٢ ــ **يقولون** إن صفات الله توقيفية، وهم بهذا يوافقون أهل السنّة من وجه (نظرياً) لكنهم عند التفصيل يخوضون في التأويل، وعلى هذا فهم عملياً مع الأشاعرة وأهل الكلام في مسألة الصفات حيث[٣]:

٣ ــ **يؤوّلون** صفات الله الخبرية كالاستواء والنزول والمجيء، وكاليد والوجه والعين والنفس[٤] ونحوها.

وهم بهذا يخالفون أهل السنّة ويوافقون المتكلمين من الأشاعرة والماتريدية والجهمية المريسية.

---

(١) انظر: مختصر تاريخ الأباضية ٦٥؛ ومشارق أنوار العقول ص ١٧٧ ــ ١٨١؛ وقناطر الخيرات (المخطوط) ١/ ٢٢٤ ــ ٢٣١.

(٢) راجع نثار الجوهر ١/ ٣٥؛ ومشارق أنوار العقول ١٨١.

(٣) انظر: بهجة أنوار العقول ١/ ٨٥؛ وكتاب الدعائم ١٠ ــ ١٣؛ وطلقات المعهد الرياضي ٩٩.

(٤) قناطر الخيرات ١/ ٢٩٤؛ والأباضية (دراسة مركزة) ٤٩؛ ومنهج الطالبين ١/ ٣٩٨ ــ ٤٠٨، ٥٠٣ وما بعدها؛ والموجز ١/ ٣٥٢ ــ ٣٧١؛ ومشارق أنوار العقول ٢٠٧ ــ ٢١٤؛ وجامع البسيوي ١/ ٢٦ وما بعدها.

٢ ــ مسألة القرآن:

ــ **أجمع السلف على أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق.**

ــ **ويعتقد بعض الأباضية أن القرآن مخلوق**، وهذا هو قول كثير من المغاربة منهم، أما المشارقة (أباضية عمان) فأكثرهم يقول: بأن القرآن غير مخلوق[١]. إلاَّ أن «أحد علمائهم المعاصرين نصر قول الجهمية بخلق القرآن[٢].

فعلى هذا من قال منهم بخلق القرآن وافق المعتزلة والجهمية ونحوهم، ومن قال بأن القرآن منزل غير مخلوق وافق أهل الكلام حيث قد يفسرون كلام الله تعالى ــ ومنه القرآن ــ بأنه الكلام النفسي أو هو معنى قائم بالنفس ونحو ذلك كما تقول الفرق الكلامية (الكلابية والأشاعرة والماتريدية).

ومن الأباضية من يميل إلى قول الواقفة في القرآن فلا يقولون هو مخلوق ولا غير مخلوق[٣].

٣ ــ في مسألة الرؤية:

ــ **لقد تواتر في القرآن والسنّة** وأجمع أئمة السلف على أن رؤية المؤمنين لربهم في الجنة بأبصارهم ثابتة قطعاً كما يليق بجلال الله تعالى.

---

(١) انظر: مختصر تاريخ الأباضية ٦٥؛ وكتاب الدعائم ٢٩؛ ومنهج الطالبين ١/ ٢٠٣، ٢٠٥؛ والموجز ٢/ ١٣٢ ــ ١٣٦؛ والكشف والبيان ١/ ٢٨٩ وما بعدها؛ والتمسلك المحمود ص ١٥٣؛ ورسالة الديانات ص ٤.

(٢) انظر: الحق الدامغ للخليلي ص ١٨٠.

(٣) انظر: منهج الطالبين ١/ ٢٠٤.

تنكر الأباضية الرؤية[1]، وهي بهذا خالفت إجماع السلف أهل السنّة، ووافقت الجهمية والمعتزلة والرافضة.

٤ ــ في مسألة الإيمان:

ــ مذهب السلف أن الإيمان قول وعمل (اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالجوارح) وأنه يزيد وينقص.

ــ إن المتأمل في عقائد الأباضية في مسألة الإيمان، وهل يزيد وينقص، يجد أن فيها شيئاً من الاضطراب؛ وذلك أنهم:

١ ــ يقولون بأن الإيمان والإسلام بمعنى واحد، ومع ذلك يقولون إن الإسلام والإيمان وردا في الشرع على جهة الاختلاف والتداخل معاً[2].

٢ ــ وعلى ذلك هم يوافقون أهل السنّة في أن الإيمان قول وعمل، فهم في هذه المسألة يكونون أقرب إلى السنّة من أكثر المرجئة: الأشاعرة والماتريدية ونحوهم القائلين بأن العمل غير داخل في مسمى الإيمان[3].

٣ ــ أما مسألة زيادة الإيمان ونقصانه فهم فريقان:

فريق يقول: إن الإيمان يزيد وينقص[4] وهم بهذا يوافقون أهل السنّة

---

(١) انظر: رسالة الديانات للشماخي ص ١؛ والكشف والبيان ١/ ١٥٢؛ ومنهج الطالبين ١/ ٤٠٩ ــ ٤١٣؛ وبهجة أنوار العقول ١/ ٦١؛ ومشارق أنوار العقول ــ ص ١٨٦ ــ ١٩٧؛ ومسند الربيع ٣/ ٢٧؛ وقناطر الخيرات (المخطوط) ١/ ٢٢٧؛ ومختصر تاريخ الأباضية ٦٥؛ والموجز ١/ ٣٧٥ ــ ٣٨٢؛ والحق الدامغ للخليلي ٩٥، ٩٦؛ وطلقات المعهد الرياضي ١٠٧ وما بعدها.

(٢) انظر: قناطر الخيرات ١/ ٣٣٧، ٣٦١، ٣٦٢ (المطبوع) ١/ ٢٨١ ــ ٢٨٦؛ ومشارق أنوار العقول ٣٢٩، ٣٣٠. (المخطوط) ومنهج الطالبين ٥٦٦، ٥٧٦.

(٣) انظر: منهج الطالبين ١/ ٥٦٧.

(٤) انظر النور (شرح النونية) ٢٤٠. وجوهر النظام ١/ ١٤. ومنهج الطالبين ٥٦٩.

في الجملة، لكنهم عندما يفصّلون قد يخالفون أهل السنّة في بعض المسائل مثل مسألة درجات الإيمان[1].

وقول **بعضهم** إن الإيمان العملي فقط هو الذي يزيد وينقص، أما الاعتقادي فإنه يزيد ولا ينقص إنما ينهدم[2]، وهذا تناقض بيّن.

والفريق الثاني يقول: إن الإيمان الشرعي لا يزيد ولا ينقص[3]. وهم بهذا يوافقون المرجئة وأكثر أهل الكلام من الأشاعرة والماتريدية والجهمية.

٥ ــ مسألة مرتكب الكبيرة:

مذهب السلف أن أصحاب الكبائر من أهل القبلة عصاة فساق، وأن مرتكب الكبيرة لا يكفر في الدنيا، وفي الآخرة أمره غيبي، فهو متعرض للوعيد إن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له، ولا يخلد في النار، وإنما يخرج بعد تطهيره، وبشفاعة محمد ﷺ، لأهل الكبائر من أمته.

ــ **وتقول الأباضية** بأن مرتكب الكبيرة (كافر)، ويفسرون بأن معناها كفر النعمة، ويقولون بأنه مثل كفر النفاق[4]. وهذا في الدنيا. وفي الآخرة يرون أن مرتكبي الكبيرة وعصاة الموحدين إذا ماتوا على ذلك فهم في النار

---

(١) انظر: قناطر الخيرات ١/ ٣٣٧، ٣٦١، ٣٦٢ (المطبوع) ١/ ٢٨١ ــ ٢٨٦؛ ومشارق أنوار العقول ٣٢٩، ٣٣٠ (المخطوط)؛ ومنهج الطالبين ٥٦٦، ٥٧٦.

(٢) انظر: أصدق المناهج ٣٣؛ ومشارق أنوار العقول ٣٣٤ مع تعليق أحمد الخليلي.

(٣) انظر: بهجة أنوار العقول ١/ ١٥٠؛ وأصدق المناهج/ ٣٣.

(٤) انظر: مقدمة التوحيد ١٢٧؛ وقواعد الإسلام ١/ ٣٤؛ ومختصر تاريخ الأباضية ٦٥ و ٦٦؛ ونثار الجوهر ١/ ٥٧، ٥٨؛ ومسند الربيع ٣/ ٢؛ وقاموس الشريعة ٦/ ٣؛ والحق الدامغ ٢٠٢ ــ ٢٢٦؛ وجامع البسيوي ١/ ١١٠، ١١١.

خالدين فيها أبداً[١]. ويرون أن كل كبيرة كفر[٢]. والمنافق من فعل كبيرة أسرها أو أظهرها[٣]. وعلى هذا فهم يخالفون أهل السنّة في الأمرين مخالفة كبيرة.

ـ **وتعد هذه المسألة من الفوارق الكبرى بين أهل السنّة والأباضية**، بل إنها من أبرز المسائل التي حددت المواقف التاريخية للأباضية مع الأمة منذ نشأت حتى اليوم. لأنها حين رأت ظهور الفسق والظلم في بعض ولاة المسلمين وأفرادهم اعتقدت كفرهم واستحلت دماءهم والخروج عليهم وعلى جماعتهم.

وبهذا تكون الأباضية وافقت المعتزلة وسائر الخوارج في القول بتخليد أصحاب الكبائر في النار.

٦ ــ مسألة الشفاعة:

أهل السنّة يثبتون سائر الشفاعات التي وردت بها النصوص الثابتة، بعد إذن الله تعالى ورضاه (بشروطها)، ومن أهم الشفاعات وأصحها وأثبتها لرسول الله ﷺ، شفاعته لأهل الكبائر من أمته بعد أن يدخلوا النار، بأن يخرجوا منها.

وخالفت في ذلك الأباضية ــ كسائر الخوارج ــ فقالت: إن الشفاعة لا تنال أصحاب الكبائر في أمة محمد ﷺ، بل هم مخلدون أبداً في

---

(١) انظر: مسند الربيع ٣/ ٤ ــ ٥؛ وقاموس الشريعة ٦/ ٣؛ ومختصر تاريخ الأباضية ٦٥ و ٦٦؛ وبهجة أنوار العقول ١/ ١٧٤؛ والكشف والبيان ١/ ١٦٧؛ والحق الدامغ ٢٩١ ــ ٣٢٦؛ وجامع البسيوي ١/ ١١٢؛ والموجز ٢/ ١١٦ ــ ١٢٩، ٢٣٠؛ والمشارق ٢٩١ ــ ٣٠٥ مع تعليق الخليلي؛ ولباب الآثار ١/ ٣٠٧ ــ ٣٧٦.

(٢) انظر: الموجز ٢/ ١٨.

(٣) الجامع الصغير ــ لأطفيش ١/ ١٠٧.

النار[1].

وهذه المسألة تتفق فيها الأباضية مع المعتزلة وسائر الخوارج.

٧ ــ مسألة الصحابة:

مذهب أهل السنّة والجماعة في الصحابة أن حبهم إيمان ودين، وبغضهم كفر ونفاق وشقاق، والترضي عنهم جميعاً والكف عما شجر بينهم، واعتقاد عدالتهم لأنهم أصحاب رسول الله ﷺ، ونقلة الدين عنه.

ــ **أما الأباضية** فإنها وقعت في بعض أصحاب رسول الله ﷺ، كما فعلت سائر الخوارج، وكما فعلت الرافضة، إلاّ أنهم أقل غلواً في ذلك.

فالأباضية تطعن في عدد من أجلاء الصحابة، كعثمان وعلي وعمرو بن العاص ومعاوية[2] وطلحة والزبير ــ رضي الله عنهم ــ وأصحاب الجمل، ولا يترضون عن جميع الصحابة فيقولون: نترضى عنهم إلاَّ من أحدث، ويعدون جملة من خيار الصحابة على أنهم أحدثوا[3]، وبهذا يوافقون الرافضة والمعتزلة.

وهذه مسألة كبيرة تعد من الفوارق الرئيسة بينهم وبين أهل السنّة، كما تعد من الأصول الكبرى التي أخرجتهم عن منهج السلف وجعلتهم في عداد الفرق والأهواء.

---

(١) انظر: مختصر تاريخ الأباضية ٦٦؛ ومسند الربيع ٤/ ٢٣، ٢٤؛ والمشارق ٢٨٧ ــ ٢٩١؛ وشرح النونية (النور) ٣٠٢؛ وقناطر الخيرات ١/ ٢٤٨ (المخطوط)؛ وجامع البسيوي ١/ ١٢١.

(٢) انظر: مختصر تاريخ الأباضية ١٦، ١٧، ٦٧؛ والعقود الفضية ٤٥ و ٤٦؛ والأباضية (دراسة مركزة) ٥٣؛ والموجز ٢/ ٢٣٩ ــ ٢٥٠.

(٣) انظر: مختصر تاريخ الأباضية ١٦، ١٧، ٦٧؛ والعقود الفضية ٤٥ و ٤٦؛ والأباضية (دراسة مركزة) ٥٣؛ والموجز ٢/ ٢٣٩ ــ ٢٥٠.

٨ ـ مسألة الأئمة والخروج:

من أصول أهل السنّة: طاعة الأئمة والولاة (وهم الحكام) أبراراً كانوا أو فجاراً، والصلاة خلفهم والجهاد معهم وإن جاروا وإن ظلموا أو فسقوا، وأنه لا يجوز الخروج عليهم ولا قتالهم إلاَّ أن ترى الأمة منهم كفراً بواحاً عليه من الله برهان، وأن هذه الطاعة تكون بالمعروف فلا يطاعون في معصية الله ورسوله ﷺ.

أما **الأباضية** فإنهم خالفوا السنّة في ذلك وفارقوا جماعة المسلمين كغيرهم من الخوارج في أمور كثيرة من مسائل الإمامة والجماعة والخروج، بل إن هذه القضية تعد من الأصول الكبرى التي فارقوا فيها أهل السنّة على النحو التالي:

١ ـ **يقدحون في إمامة عثمان وعلي** ـ رضي الله عنهما ـ الخليفتين الراشدين الذين زكاهما الرسول ﷺ، وأمر باتباع سنتهما (كأبي بكر وعمر) بل يطعنون في شخصيهما[١].

٢ ـ **يؤيدون خروج أسلافهم** الخوارج (المحكِّمة) الأولى وأهل النهروان الذين خرجوا على الصحابة وقاتلوهم[٢].

٣ ـ **يرون أن الإمام إذا ارتكب كبيرة حل دمه** وجاز الخروج عليه[٣]، فقالوا: «اعلم يا أخي أن مذهب أهل الدعوة «يعني الأباضية» في الخروج

---

(١) انظر: مختصر تاريخ الأباضية ١٦، ١٧؛ ومنهج الطالبين ١/ ٦١٧.

(٢) انظر: أصدق المناهج ٢٥؛ والعقود الفضية ٤٥، ٤٦؛ ومختصر تاريخ الأباضية ١٧، ٦٧؛ والأباضية بين الفرق الإسلامية ٣٧٧ ـ ٣٨٥. والأباضية في موكب التاريخ ١/ ٣٣، ٣٥ (الحلقة الأولى).

(٣) انظر: شرح النيل ١٤/ ٣٤٢، ٣٤٣؛ وقاموس الشريعة ٨٦/ ٢٢٢؛ والموجز ٢/ ٢٣٦ ـ ٢٣٨؛ والدليل والبرهان ٣/ ٦٢، ٣٦؛ والأباضية بين الفرق الإسلامية ٢٨٩ ـ ٣١٣.

على الملوك الظلمة والسلاطين الجورة جائز وليس كما تقول السنية[1] أنه لا يحل الخروج عليهم ولا قتالهم»[2].

٤ ــ ويرون أن الخروج ــ على الأئمة ــ لرفع الظلم ورد العدوان وإزالة الحاكم الظالم المفسد أمر مشروع وواجب[3].

ومعسكر السلطان إذا لم تتوافر فيه شروطهم؛ كأن يكون السلطان فاسقاً أو ظالماً، أو عاصياً أو مرتكباً لكبيرة فإن معسكره معسكر بغي يجوز الخروج عليه وتغييره لإقامة الدين[4].

٥ ــ وأن من كان منهم أهلاً للإمامة وطلبوا منه أن يتولى ولم يقبل أو امتنع فإنه يحل دمه ويقتل[5].

٦ ــ لا يقرون لأئمة المسلمين ــ من سواهم ــ بإمامة شرعية عدا أبا بكر وعمر، وعمر بن عبد العزيز، ولا يقبلون بولاية بني أمية وبني العباس وسائر ولاة أمر المسلمين طيلة القرون[6].

٧ ــ بعضهم كأهل الكلام ــ يلمزون أهل السنّة ويلقبونهم بالحشوية[7].

٨ ــ توغلهم في الكلاميات التي حذر منها السلف وبدّعوا من خاض

---

(١) يقصدون بالسنية: أهل السنّة والجماعة!

(٢) الدليل والبرهان ٣/ ٦٢، ٦٣؛ وانظر الأباضية (دراسة مركزة) ٤٦ و ٤٧.

(٣) راجع العقود الفضية ١٣٥؛ ودراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ٨٢.

(٤) انظر: الأباضية بين الفرق الإسلامية ٢٩٧؛ وشرح النيل ١٤/ ٢٤٣؛ والأباضية (دراسة مركزة) ٤٧.

(٥) انظر: الموجز ٢/ ٢٣٥؛ وكتاب السيرة ٦٠.

(٦) انظر: أصدق المناهج ٢٩؛ والأباضية (دراسة مركزة) ٣٣؛ ومختصر تاريخ الأباضية (جملة).

(٧) انظر: جامع البسيوي ١/ ١١٠، ٢٥٧.

فيها. فإن متأخري الأباضية سايروا الجهمية والمعتزلة ومتكلمة الأشاعرة في مناهج تقرير العقائد واستعمال المصطلحات الفلسفية والكلامية الخالصة[1].

٩ ــ مسائل أخرى خالفت فيها الأباضية أهل السنّة:

١ ــ **تأويلهم للميزان والصراط** وتعسفهم في رد النصوص الثابتة في أن الصراط والميزان حسيان وأن لهما صفات[2]. وهم بهذا يخالفون السنّة والجماعة ويوافقون المعتزلة والجهمية.

٢ ــ **المبالغة في النظرة إلى العصاة من المسلمين والموقف منهم:** حيث يوجبون البراءة من العاصي وبغضه وشتمه، ويرون أن من اقترف كبيرة أو أصرَّ على صغيرة من عصاة المسلمين وجبت البراءة منه، سواء ظهر منه ذلك، أو اعترف أنه متلبس به، أو شهد عليه بذلك من تقبل شهادته[3].

ونجد هذه الروح المتشددة جلية حتى عند المتأخرين منهم حيث يقولون: لا يجوز لنا أن نتغاضى عن أولئك الذين سولت لهم أنفسهم ارتكاب المعاصي ولا يجوز أن نضعهم في صف واحد مع المؤمنين الموفين، بل يجب أن نزجر العاصي على معصيته وأن نعالنه وننابذه بالعداوة

---

(١) انظر: على سبيل المثال (كتاب معالم الدين) للمصعبي، والحق الدامغ للخليلي.

(٢) انظر: مشارق أنوار العقول ٢٨٢ ــ ٢٨٦؛ وقناطر الخيرات ١/ ٣٧٧، ٣١٨، ٣١٩؛ أو ١/ ٢٤٥، ٢٤٦ (المخطوط). وقواعد الإسلام ١/ ١٧، ١٨؛ ومنهج الطالبين ١/ ٤٩٩؛ ومختصر تاريخ الأباضية ٦٦، ٦٧.

(٣) انظر: شرح النونية (النور) ١٢٣؛ ومقدمة التوحيد ٩٦؛ ونثار الجوهر ١/ ٦٤؛ ومنهج الطالبين ٢/ ١١ ــ ٥٢؛ وقناطر الخيرات ١/ ٢٥٤ (المخطوط)؛ وقواعد الإسلام ١/ ٦٢؛ ومشارق أنوار العقول ٣٤٦، ٣٤٧؛ وبهجة أنوار العقول ١/ ١٥٧؛ والأباضية عقيدة وفكراً (ماجستير) عبد الرحمن أبو بكر المصلح ص ٢١٨ ــ ٢٢٨.

والغلظة ما دام منحرفاً عن الصراط المستقيم[1].

٣ ـ **مسألة أصح الكتب بعد القرآن الكريم**: من الفوارق الجذرية بين أهل السنّة والأباضية في مصادر الدين مخالفتهم لجمهور المسلمين وأئمتهم، حيث أجمع أهل العلم قديماً وحديثاً على أن أصح الكتب بعد كتاب الله صحيح البخاري وصحيح مسلم.

لكن طوائف من الأباضية تشذ عن هذا الإجماع، وترى أن أصح كتاب بعد القرآن هو (مسند الربيع)[2]؛ لأن الربيع بن حبيب الأزدي صاحب هذا المسند كما يدَّعون من أئمتهم الأوائل. مع أن هذا المسند لم تتلقاه الأمة بالقبول، ولا تتوافر فيه شروط التقديم والصحة، بل هو مليء بالمراسيل والمجاهيل، ورواية شيخهم الوارجلاني المتوفى سنة (٥٧٠هـ) للكتاب منقطعة السند إلى الربيع، فإنَّ بينهما دهراً طويلاً (خمسة قرون)!

٤ ـ **مسألة حديث الآحاد وحجيته**: أهل السنّة يقولون بحجيّة حديث الآحاد في الأحكام والعقائد، أما الأباضية فإنهم يقولون: أحاديث الآحاد لا يحتج بها في العقائد[3]، موافقة للمتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم.

٥ ـ **مسألة مسالك الدين**[4]: هذا النمط (مسالك الدين) من الأنماط التي أملتها ظروف الأباضية الصعبة، وشعورهم بالعزلة والخروج والشذوذ عن جماعة المسلمين وأئمتهم في التاريخ الإسلامي ومراحله الطويلة،

---

(١) مختصر تاريخ الأباضية ٦٥، ٦٦، وانظر: الحق الدامغ ٢٠٢ ـ ٢٢٧.

(٢) انظر: مقدمة (مسند الربيع) المسمى الجامع الصحيح ص ٣؛ والأباضية بين الفرق الإسلامية ١٣٤.

(٣) انظر: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ص ١٠٠؛ والأباضية (دراسة مركزة) ٥٢؛ والحق الدامغ ١٩٧.

(٤) انظر: الجامع الصغير لأطفيش ١/ ١١٠، ١١١.

فلجأوا إلى ما يشبه أطوار الباطنية والرافضة ونحوهم من ناحية الظهور والكتمان، والسرية والإعلان، والمسالمة والخروج، والسلم والقتال، لذلك جاؤوا ببدعة مسالك الدين وهي بإيجاز:

المسلك الأول: (مسلك الظهور): وهي المرحلة التي يكون فيها الحكم شرعياً، بمقتضى شروطهم، وينفذ فيها شرع الله وأحكامه، وهي التي ـ كما يقولون ـ يجب أن يسعى إليها المسلمون بالقوة، وفيها يتم إعلان الإمامة واختيار الإمام، وهذه الفترة عندهم تمثلها إمامة أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ دون عثمان وعلي ـ رضي الله عنهما ـ وتمثلها دويلاتهم التي قامت في التاريخ كالرستمية[1] ونحوها.

المسلك الثاني: (مسلك الدفاع): ويعنون به إعلان الخروج على الأئمة الظلمة والطغاة، وعلى الأمة التي ترضى بالفسق والعصيان، ويقودهم في هذا الخروج (إمام الدفاع) ويمثله في التاريخ (عبد الله بن وهب الراسبي) من رؤوس الخوارج الذين خرجوا على علي[2] ـ رضي الله عنه ـ.

المسلك الثالث: (مسلك الشراء): ويعنون به أن الأمة إذا لم تقم بالمسلك الأول والثاني انبرت طائفة لا تقل عن أربعين يضحون بأنفسهم ويعلنون الخروج والثورة على الظلم. تشجيعاً للأمة على الثورة ورد الظلم بزعمهم[3].

---

(١) انظر: الأباضية في موكب التاريخ الحلقة الأولى ٣٩ ـ ٩٦ وأجوبة ابن فرحون ـ المقدمة ـ ١٠/ ١٢؛ ودراسة عن تاريخ الفرق ٩٩/ ١٠٠.

(٢) انظر: مقدمة التوحيد ٧٠ ـ ٩٣؛ والأباضية في موكب التاريخ، الحلقة الأولى ٩٣ ـ ٩٦؛ مقدمة أجوبة ابن فرحون ١٠/ ١٢؛ والدليل والبرهان ٣/ ١٥٣.

(٣) انظر: مقدمة التوحيد ٧٠ ـ ٩٣؛ والأباضية في موكب التاريخ ٩٣ ـ ٩٦ الحلقة الأولى؛ =

المسلك الرابع: (مسلك الكتمان): وهذه الفكرة هي مما تفارق به الأباضية بقية فرق الخوارج وهي من عوامل بقائهم، بحيث إذا ضعفوا انكمشوا وانطووا على أنفسهم وسلمت أرواحهم بمسلك الكتمان!.

والكتمان يعني: الانعزال وتضييق نطاق التعامل مع الآخرين إلاَّ للضرورة، وتربية المجتمع الأباضي وتحصينه بتقاليدهم وأحكامهم الأباضية، كما هو حال غالبيتهم اليوم في الجزائر وغيرها[1]، تحت ما يسمى بنظام (العزابة).

٦ ـ **مسألة إقامة الجمعة**: بعض الأباضية لا يقيمون الجمعة في مرحلة الكتمان لأنهم يشترطون لها وجود الإمام، لذلك كان فريق منهم يتركون الجمعة إلى وقت قريب، رغم أنها لا تزال بحمد الله تقام في جميع بلاد المسلمين، وهي من شعائر الدين الظاهرة إلى يوم القيامة، وهم بهذا يخالفون أهل السنّة والأشاعرة ويوافقون الرافضة وبعض الفرق الباطنية.

والذين يرون إقامة الجمعة منهم يحصرونها بالأمصار السبعة (مكة والمدينة وعمان واليمن والكوفة والبصرة ومصر) على خلاف بينهم في التفاصيل[2].

٧ ـ **مسألة التقية**: نظراً لطبيعة وجود الأباضية أقلِّية بين المسلمين، ولما تميزت به عقائدها وأحكامها من شدة وعنف، لجأت إلى القول بالتقية

= ومقدمة أجوبة ابن فرحون ١٠/ ١٢؛ والدليل والبرهان ٣/ ١٥٣؛ والموجز ٢/ ٢٣٨.

(١) انظر: مقدمة التوحيد ٧٠ ـ ٩٣؛ والأباضية في موكب التاريخ ٩٣ ـ ٩٦ الحلقة الأولى؛ ومقدمة أجوبة ابن فرحون ١٠/ ١٢؛ والدليل والبرهان ٣/ ١٥٣؛ والموجز ٢/ ٢٣٨.

(٢) انظر: جوهر النظام ١/ ٨٨، ٩٠؛ وكتاب الدعائم ٥١؛ وقناطر الخيرات (المخطوط) ١/ ٤٣٨، ٤٣٩.

عند الحاجة، وهي بهذا توافق الرافضة بالقول بالتقية مع الفارق في التفاصيل بينهما[1]، فإن التقية عند الرافضة تقية نفاق، أما الأباضية فهي تعتز بالدين على أي حال، ولا تكتم شعائر الإسلام الظاهرة، إنما تكتم أحكامها القاسية تجاه الآخرين المخالفين.

٨ ــ **مسألة الوقوف:** من المسائل التي تنفرد بها الأباضية مسألة الوقوف ويقصدون بها: الكف عن الحكم بالولاية والبراءة في حق مجهول الحال الذي لم يعرف عنه حق أو باطل، ولم يظهر منه ما يوجب الولاية ولا البراءة.

ويعدون هذا الوقوف فريضة[2]، وهو من غرائبهم التي أفرزتها (فيما أظن) روح التنكر والانطوائية عن عموم المسلمين.

وهذه العقيدة مما ساعدهم على الانطوائية والانزوائية وحياة العزلة والمفاصلة بينهم وبين بقية المسلمين خاصة في مرحلة ما يسمونه بالكتمان، حينما لا تقوم لهم دولة. كما أن هذه الصفة جعلتهم (فرقة) خارج دائرة جماعة المسلمين، لا يسهمون معهم في الحياة العامة، ويُصَدّق ذلك واقعهم من خلال الأنموذج الذي يعيشونه الآن في وادي ميزاب بالجزائر[3].

٩ ــ **مسألة الولاية والبراءة:** يبالغ الأباضية في مسألة الولاية حتى

---

(١) انظر: مشارق أنوار العقول (٤٥١ ــ ٤٥٥)؛ وبهجة أنوار العقول ص ٢٣٨ ــ ٢٤٩.

(٢) انظر: قواعد الإسلام ١/٩٣، ٩٤؛ وبهجة أنوار العقول ١/ ١٧٠، وما بعدها ورسالة الديانات ٤؛ ومشارق أنوار العقول ٣٧٠ ــ ٣٧١؛ ولباب الآثار ١/ ٢٤٧؛ ومنهج الطالبين ٢/ ٤٦، ٤٧؛ والأباضية (دراسة مركزة) ٧٨؛ وطلقات المعهد الرياضي ١٢١.

(٣) انظر: النظم الاجتماعية والتربوية عند الأباضية/ خليفات ٩١ ــ ٩٤؛ والأباضية (دراية مركزة) ٣٤.

يكادون يربطونها بجميع أحكام الطاعة، إلى حد التنطع الذي لا يطاق. وكذلك البراءة من أهل المعاصي والأحداث واجبة على الإطلاق بما يجعلها تضفي روح التنافر والتنابذ بين أفراد المسلمين، ويضعون لها ضوابط ودرجات وأحكام لا تقتضيها نصوص الشرع وتخالف منهج السلف في الولاء والبراء[1].

❑ ❑ ❑

(١) انظر تفاصيل هذا الموضوع لدى الأباضية في كتاب: منهج الطالبين ٢/ ٧ ــ ٢٢٧؛ وطلقات المعهد الرياضي ١١٧ وما بعدها؛ وكتاب لباب الآثار ــ مهنا بن خلفان البوسعيدي ١/ ٢٤٥ ــ ٣٠٦؛ وكتاب الجامع الصغير ــ لإطفيش ــ ١/ ١٢٦ ــ ١٣١.

(٣)
خلاصة المبحث ونتائجه

وأخيراً هذه خلاصة لما سبق، ضمنتها آرائي وانطباعاتي من خلال مجمل العرض السابق في المبحثين الماضيين، والنتائج التي توصلت إليها من وجهة نظري الشخصية، وضمنتها بعض الاقتراحات التي أرجو أن ينفع الله بها الجميع، ومن ذلك:

أولاً: أن الأباضية فرقة من فرق الخوارج الكبرى بإجماع الباحثين (غير بعض الأباضية)، وأن العلماء الأباضية قديماً وحديثاً ملزمون علمياً ومنهجياً بالاعتراف بهذه الحقيقة من خلال التزاماتهم العقدية والتاريخية بما يقتضي ذلك. ومن خلال موازنتهم بالسنة والجماعة.

ثانياً: أن الأباضية أقل غلوّاً وشططاً من الخوارج الآخرين، كالمحكِّمة، والحرورية، والأزارقة، والصفرية ونحوهم، وأكثر استعداداً للحوار والمجادلة بالتي هي أحسن من سائر الخوارج.

ثالثاً: وأن هذا العرض لا يعني أن الأباضية يخالفون أهل السنّة في كل شيء، بل إن هناك من بعض العقائد والأصول ما يوافقون به السنّة والجماعة، لكنه ليس محلاً للنقاش.

رابعاً: وأن من أبرز الأمور العقدية، التي خالفت فيها الأباضية السنّة والجماعة هي:

١ ـ **تأويلهم صفات الله**. وقد وافقوا المتكلمين من جهة التأويل، والمعطلة والمعتزلة من جهة قولهم: إن صفات الله عين ذاته.

٢ ـ **قول كثيرين منهم بخلق القرآن**. وهو قول المعتزلة والجهمية.

٣ ـ **إنكار كثير منهم الرؤية** الثابتة بتواتر النصوص والإجماع. وهو قول الجهمية والمعتزلة والرافضة.

٤ ـ **تكفيرهم لمرتكبي الكبائر وقولهم بتخليدهم بالنار**. وهو قول المعتزلة وسائر الخوارج.

٥ ـ **إنكارهم الشفاعة** الثابتة عن النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته، التي تواترت بها النصوص، وأجمع عليها السلف. وهو قول المعتزلة وسائر الخوارج.

٦ ـ **طعنهم في بعض الصحابة** ممن أجمعت الأمة على الترضي عنهم، وممن شهد لهم الرسول ﷺ، وهذا يوافق مسلك الرافضة والمعتزلة.

٧ ـ **اعتمادهم مسند الربيع** على أنه أصح كتب السنّة، مع طعنهم في أحاديث من الصحاح، كالبخاري، ومسلم وغيرهما.

٨ ـ **تجويزهم الخروج على الأئمة** وجماعة المسلمين بالمعاصي والفسق والظلم. وهو مذهب المعتزلة وسائر الخوارج.

٩ ـ **ولاؤهم للخوارج الأولين** الذين كفّروا الصحابة وقاتلوهم، وخرجوا على عليّ ـ رضي الله عنه ـ، كالمحكِّمة، والحرورية أهل النهروان. وهو مذهب جميع فرق الخوارج.

١٠ ـ **قولهم بمسالك الدين** من الظهور والدفاع والبراءة والشراء والكتمان (التقية).

١١ ــ قولهم بالوقوف تجاه مجهول الحال من المسلمين وغيرهم، فلا يوالى ولا يعادى حتى يتبين أمره.

١٢ ــ عدم اعتدادهم بالمذاهب الفقهية السنّية الإسلامية الأربعة وغيرها، بل لهم فقههم ومناهجهم في الاستدلال والأصول، وقد يوافقون السنّة في كثير منها.

١٣ ــ عدم اعتدادهم بولاية عثمان وعليّ ــ رضي الله عنهما ــ، وخلفاء بني أمية، وبني العباس، وسواهم من ولاة المسلمين؛ طيلة التاريخ الإسلامي، الذين قال بإمامتهم أهل السنّة والجماعة، وتخصيصهم إمامة المسلمين وإمارة المؤمنين بأئمتهم هم. وهذا يشبه مواقف الرافضة وسائر الخوارج من الأئمة والخلفاء وجماعة المسلمين.

خامساً: أن الأباضية حالياً تمثل الخوارج في عامة الأصول؛ لأن الفرق الأخرى من الخوارج قد انقرضت، أما تمثيل الأباضية للخوارج في هذا العصر فهو للحيثيات التالية:

١ ــ أن عقيدتهم امتداد لعقيدة الخوارج في العموم، وقد زادوا عليها أخذهم بأصول المعتزلة والجهمية وأهل الكلام.

٢ ــ إجماع كتب الملل والنحل والفرق قديماً وحديثاً على أن آراءهم تمثل آراء الخوارج.

٣ ــ أن فقههم يمثل فقه الخوارج.

٤ ــ أن شعرهم وأدبهم يمثل شعر الخوارج وأدبهم.

٥ ــ أن تاريخهم يمثل تاريخ الخوارج المتأخرين، وهو جزء من تاريخ الخوارج الأقدمين.

٦ ـ **أن مواقفهم** تمثل مواقف الخوارج (أي من الأئمة وخلفاء الأمة وسلاطينها وأمرائها، ومن جماعة المسلمين).

٧ ـ **أن دولهم** وإماراتهم التي قامت عبر التاريخ، سواء في المشرق أم المغرب، كانت تُعدّ من دول الخوارج.

ومع **ذلك** فإني لا أستبعد أن تكون نظرة بعض الأباضية المعاصرين لغيرهم من المسلمين، طرأ عليها شيء من الانفتاح والمرونة(١) وحسن الظن والاستعداد للتفاهم، وتعديل الأحكام والمواقف ـ وهذا يحمد لهم ـ، ويبشر بخير، يحسن منا ـ أهل السنّة ـ **أن ننتهز هذه الفرصة**، ونفتح معهم باب الحوار الهادىء الجاد ـ لعل الله يهديهم سواء السبيل.

سادساً: إن بعض الأباضية المتأخرين والمعاصرين أبدوا تراجعات وتفسيرات مهمة في سبيل تقاربهم مع أهل السنّة، وأظهروا استعداداً جيداً للوفاق، والرجوع إلى أصول السنّة، وذلك يتضح من خلال محاولاتهم الجادة لتبرير مواقف وعقائد أسلافهم، والاعتذار عن تلك المواقف والعقائد المحرجة، ومن خلال محاولاتهم إقناع الناس بأن الأباضية ليست فرقة خارجة.

---

(١) لعل مما يُصدِّق ذلك ما ذكره الخليلي في مقدمة (الحق الدامغ) من أن طريقتهم في فهم أصول الدين تتسم بثلاثة أمور:
١ ـ سلامة المنزع.
٢ ـ عدم التعصب.
٣ ـ المرونة والتسامح.
انظر: الحق الدامغ ٨، ٩، ١٠. وينزع إلى هذا الاتجاه كثير من معاصري الأباضية، الذين عايشوا الناس خارج بيئاتهم الخاصة، مثل علي يحيى معمَّر وذويه والباروني والسيابي (سالم بن حمود).

وأرى أن هذا المسلك يَنمُّ عن استعداد جيد للموضوعية والخضوع للحق[1]، وعلى أهل السنّة أن يبادلوهم الشعور والاستعداد للحوار والتحاكم إلى كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، ومنهج سلفنا الصالح.

وأنا متفائل بمحاولة بعض المتأخرين منهم إظهار الأباضية بمظهر (الفرقة المسالمة) والموافقة للجماعة، وتفسير عقائدها ومواقفها بما ينطوي على محاولة التوفيق بين الجميع، وعلى الحرص الظاهر على جمع الكلمة على الحق. وإن سلموا من النكوص، فسيكون لعلمهم الأثر المحمود ــ إن شاء الله ــ.

سابعاً: بناء على ما سبق، فإني أقترح إقامة قنوات بيننا وبينهم للحوار والمناقشة والتحاكم إلى النصوص ــ كما أمر الله ــ، والتناصح بين الأباضية وبين أهل السنّة، وذلك من خلال الندوات والمؤتمرات ومجالس المناظرة، والمكاتبات الهادئة بعيداً عن العصبية والتهجم والسَّبِّ، التزاماً بأدب ديننا الحنيف.

وأرى أن حسن العلاقة والجوار القائم بينهم وبين أهل السنّة، يُعدّ فرصة للجميع للتفاهم والتعاون والحوار الجاد الهادىء المثمر، تحت إشراف هيئة أو نحوها، وأن يتولى ذلك أهل العلم والحلم من الفريقين بشروط تضمن سلامة جو التفاهم من انحراف مسار الحوار، وتضمن عدم دخول العصبية والنكوص عن الحق، وأفضل جو علمي لإجراء مثل هذا هو الجامعات وكبار العلماء منا ومنهم، والمبادر إلى فعل هذا سابق للخيرات ــ بإذن الله ــ.

❑ ❑ ❑

---

(١) من أبرز أصحاب هذا الاتجاه من الأباضية: علي يحيى معمَّر، (ت ١٤٠٠هـ).



المبحث الثالث

سمات الخوارج

ونزعاتهم في العصر الحديث



توطئة

بينتُ فيما سبق، في أول هذا الفصل، أن النبي ﷺ أخبر ـ وخبره الصدق ـ أن أصنافاً من الخوارج سيخرجون في آخر الزمان، ووصفهم بقوله في الحديث الصحيح: «**سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة**»[1].

ولما عرضت أصول الخوارج الأولين، ومن بقي منهم، وهم أهل (الأباضية) ومناهجهم وسماتهم وأصولهم وعقائدهم ومواقف السلف منهم، رأيت أنه من المفيد استكمال ما يتعلق بهذا الموضوع في حياتنا المعاصرة، وذلك بالتعرف على سمات الخوارج ونزعاتهم الجماعية والفردية في عصرنا.

ولم يكن غرضي الخوض في تفاصيل الأحداث والأقوال، إنما غرضي التحذير والتنبيه على مواطن الخطر والوقوف عند مواطن العبرة.

لذا، فقد اجتهدت ـ مستعيناً بالله ـ في كشف بعض الظواهر والسمات، والنزعات التي تشبه سمات الخوارج ونزعاتهم، أو هي منها أحياناً.

---

(١) صحيح البخاري كتاب استتابة المرتدين، باب (٦)، الحديث (٦٩٣٠)، في فتح الباري ١٢/٢٨٣.

وهذه السمات والنزعات ــ مع الأسف ــ بدت تتجلى بين طوائف من أبناء المسلمين اليوم، وبأشكال ومظاهر مختلفة من: جماعات وأفراد، ودعوات، وحركات، واتجاهات، وشعارات، ومناهج، وأساليب، ومواقف، وتصرفات ونزعات فردية وجماعية، ونحو ذلك من أمور تنذر بخطر، وتنبىء عن بدايات ظهور البذور العقدية، والفكرية، والسلوكية للخوارج.

ومما يزيد الأمر خطورة، أن بعضها بدأ ينشأ في ثنايا الدعوات الإسلامية المعاصرة، كالتكفير والهجرة، والتوقف والتبين، ونحوها، مما جعل هذه النزعات تشكل خطراً وحرجاً يستدعي ضرورة النصح، والعلاج العاجل من قبل العلماء وطلاب العلم قبل أن تعم بها البلوى وتصبح ذريعة للفتن ومسعريها. قال الله ــ تعالى ــ : ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٢٥]. نسأل الله ــ تعالى ــ أن يقينا شر الفتن ما ظهر منها وما بطن، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وحسبنا الله ونعم الوكيل.



(١)

توجهات الخوارج في العصر الحديث

عندما نتأمل هذه الظواهر نجد أنها على صنفين :

الصنف الأول: ما كان على نهج الخوارج حيث صار يمثلهم في الأصول والأحكام والمواقف، مثل ما يسمى (جماعة التكفير والهجرة)، والتي تسمي نفسها (جماعة المسلمين)، وسيأتي الحديث عنها بعد قليل.

الصنف الثاني: ما ظهرت فيه سمة أو أكثر من سمات الخوارج وخصالهم؛ من عقيدة، أو حكم، أو موقف، أو منهج، أو شعار ونحو ذلك، بحيث لم تتوافر الشروط التي تجعل الباحث يعدها من الخوارج الخالصة كأهل التوقف والتبين، وبعض النزعات والظواهر المشابهة.

وهذا الصنف يكثر بين الأفراد، والجماعات، على شكل ظواهر وتوجهات وتيارات وشعارات ومواقف لم تتبلور بعد، وإذا لم تعالج وتصحح، فقد تنشأ عنها أصول الخوارج كما حصل من جماعات التكفير والهجرة والتبين.

وتنتشر هذه الظواهر بشكل أكبر بين فئتين :

الأولى: فئة من الشباب حدثاء الأسنان قليلي العلم والتجربة.

والثانية: أصناف من المثقفين والدعاة من ذوي التدين والغيرة، مع قلة

الفقه الشرعي، بخاصة ذوي التخصصات العلمية والأدبية (غير الشرعية)، الذين صار منهم من يتصدر للدعوة. . على ما سأبينه في هذا المبحث.

هذا، وقد حرصت على تجلية هذا الأمر؛ لأن المقام في الحديث عن الخوارج، ولأداء واجب النصيحة التي أوجبها الله علينا.

كما أعرض هذا الموضوع الخطير بين يدي أهل الحل والعقد في أمر الدعوة إلى الله ــ تعالى ــ ، وهم:

أولاً: العلماء والمشايخ وطلاب العلم ــ وهم الدعاة حقاً ــ ، الذين ميزهم الله ــ تعالى ــ بالعلم الشرعي والعمل به، والفقه في الدين، والبصيرة في الدعوة، ليعالجوا هذه الأمور بالعلم والحكمة والفقه ومنهج السلف.

ثانياً: من دونهم من المتصدرين للشباب والدعوة، ليستدركوا علاج هذه السمات والظواهر ــ نزعات الخوارج ــ بحسب توجيهات العلماء، قبل فوات الأوان، وقبل أن يتصدى لها من لا يحسن علاجها أو يزيدها انتشاراً كما حصل في بعض البلاد الإسلامية، التي تصدت لتيارات العنف بالقوة البوليسية، بلا علم ولا حكمة، مما زاد الطين بلة، وصار سبباً مباشراً لنموها وانتشارها.

لذا، فإنه لمن المناسب قبل الحديث عن هذه الظواهر تفصيلاً، التقديم لها بذكر أسبابها.



(٢)

الأسـبـاب العـامـة في ظهـور سـمات الخوارج في كل زمان

قبل أن أذكر ما تيسر لي استقراؤه من أسباب ظهور نزعات الخوارج وسماتهم في العصر الحديث، أرى أن نستقرىء الأسباب العامة ـ التاريخية ـ، التي غالباً ما تكون ممهدة لظهور الخوارج أو خصالهم وسماتهم في أي زمان أو بيئة، وأهمها في نظري ما يلي:

١ ـ قلة الفقه في الدين، أي ضعف العلم الشرعي، أو أخذ العلم على غير نهج سليم.

٢ ـ الغلو في التدين والتنطع، أي التشدد في الدين.

٣ ـ الغيرة غير المتزنة (العاطفة بلا علم ولا حكمة).

٤ ـ الابتعاد عن العلماء، وجفوتهم، وترك التلقي عنهم والاقتداء بهم.

٥ ـ التعالم والغرور، والتعالي على العلماء وعلى الناس.

٦ ـ حداثة السن، وقلة التجارب.

٧ ـ شيوع المنكرات والفساد والظلم في المجتمع، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو التقصير فيه.

٨ ـ النقمة على الواقع وأهله.

٩ ـــ تحدي الخُصوم، واستفزازهم للشباب والدعاة (المكر الكبَّار)، وكيدهم للدين وأهله.

١٠ ـــ قلة الصبر، وضعف الحكمة في الدعوة.

١١ ـــ أخذ العلم عن غير أهله، ومن غير أهله، أو على غير منهج سليم.

إذا توافرت هذه الأسباب ونحوها أو أكثرها، مهَّد هذا لظهور الخوارج، أو بعض سماتهم وخصالهم، في أي زمان، وأي مكان، وأي مجتمع؛ وبخاصة إذا انضاف إلى هذه الأسباب تقصير الولاة، وغفلة العلماء وطلاب العلم والدعاة المتصدرين، عن معالجة هذه السمات وأسبابها في وقت مبكر.

هذا ما يتعلق بالأسباب العامة على مدار التاريخ.



(٣)
أسباب ظهور سمات الخوارج في العصر الحديث

أما ما يتعلق بالأسباب التي هيأت لبروز سمات الخوارج وخصالهم في العصر الحديث فهي كثيرة ومتشابكة تتمثل ــ في نظري ــ بما يلي:

١ ــ **إعراض أكثر المسلمين عن دينهم**، عقيدة وشريعة وأخلاقاً، إعراضاً لم يحدث مثله في تاريخ الإسلام، مما أوقعهم في ضنك العيش وفي حياة الشقاء كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [سورة طه، الآية: ١٢٤].

يتجلى هذا الإعراض بأمور كثيرة في حياة كثير من المسلمين اليوم؛ أفراداً وجماعات ودولاً وشعوباً وهيئات ومؤسسات، ومن مظاهر هذا الإعراض:

(أ) كثرة البدع والعقائد الفاسدة وما نتج عن ذلك من الافتراق والفرق والأهواء، والتنازع والخصومات في الدين.

(ب) الإعراض عن نهج السلف الصالح وجهله، أو التنكر له.

(ج) العلمنة الصريحة في أكثر بلاد المسلمين، التي أدت إلى الإعراض عن شرع الله، وإلى الحكم بغير ما أنزل الله، وظهور الزندقة والتيارات الضالة، والتنكر للدين والفضيلة، مما أدى إلى:

(د) شيوع الفساد، وظهور الفواحش والمنكرات، وحمايتها.

(هـ) التعلق بالشعارات والمبادىء الهدامة والأفكار المستوردة.

وكل هذه الأمور ونحوها مما يندرج تحت مفهوم الإعراض عن شرع الله تثير غيرة الشباب المتدين، وحين لا يظهر له السعي الجاد لتغيير الحال وإنكار المنكر، يلجأ إلى التصدي لهذه الانحرافات بلا علم ولا حكمة.

(و) وقوع أكثر المسلمين في التقصير في حق الله تعالى، وارتكابهم للذنوب والمعاصي، والمنكرات، وضعف مظاهر التقوى والورع والخشوع في حياة المسلمين اليوم.

(ز) ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو التقصير فيه في أكثر بلاد المسلمين.

٢ ـ **شيوع الظلم بشتى صوره وأشكاله**؛ ظلم الأفراد، وظلم الشعوب، وظلم الولاة وجورهم، وظلم الناس بعضهم لبعض، مما ينافي أعظم مقاصد الشريعة وما أمر الله به وأمر به رسوله ﷺ من تحقيق العدل ونفي الظلم.

٣ ـ **تحكُّم الكافرين** (من اليهود والنصارى والملحدين والوثنيين)، **في مصالح المسلمين**، وتدخلهم في شؤون البلاد الإسلامية، ومصائر شعوبها عبر الاحتلال، والغزو الفكري والإعلامي والاقتصادي، وتحت ستار المصالح المشتركة، أو المنظمات الدولية، ونحو ذلك مما تداعت به الأمم علينا من كل حدب وصوب، بين طامع وكائد وحاسد.

وغير ذلك من صور التحكم في مصائر المسلمين والحجر عليهم،

مما أدى إلى تذمرهم وشعور طوائف من شبابهم ومثقفيهم وأهل الغيرة منهم بالضيم والإذلال.

٤ ــ **محاربة التمسك بالدين والعمل بالسنن**، والتضييق على الصالحين والمتمسكين بالسنّة، والعلماء والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وبالمقابل التمكين لأهل الفسق والفجور والإلحاد، مما يعد أعظم استفزاز لذوي الغيرة والاستقامة.

٥ ــ **الجهل بالعلم الشرعي وقلة الفقه في الدين**، فالمتأمل لواقع أكثر أصحاب التوجهات التي يميل أصحابها إلى سمات الخوارج يجد أنهم يتميزون بالجهل وضعف الفقه في الدين، وضحالة الحصيلة في العلوم الشرعية، فحين يتصدون للأمور الكبار والمصالح العظمى يكثر منهم التخبط والخلط والأحكام المتسرعة والمواقف المتشنجة.

٦ ــ **الجفوة بين العلماء والشباب**، ففي أغلب بلاد المسلمين تجد العلماء، بعلمهم وحكمتهم وفقههم وتجاربهم في معزل عن أكثر الشباب، وربما يسيئون الظن بالكثير منهم كذلك، وبالمقابل تجد الشباب بحيويتهم ونشاطهم وهمتهم بمعزل عن العلماء، وربما تكون سمعتهم في أذهان الكثيرين على غير الحقيقة، وذلك بسبب انحراف مناهج التربية لدى بعض الجماعات، وبسبب وسائل الإعلام المغرضة التي تفرق بين المؤمنين، مما أوقع الشباب في الأحكام والتصرفات التي لا تليق تجاه علمائهم.

٧ ــ **الخلل في مناهج الدعوات المعاصرة**، فأغلبها تربي أتباعها على مجرد أمور عاطفية وغايات دنيوية: سياسية واقتصادية ونحوها،

وتحشو أذهانهم بالأفكار والمفاهيم التي لم تؤصل شرعاً، والتي تؤدي إلى التصادم مع المخالفين بلا حكمة. وفي الوقت نفسه تقصِّر في أعظم الواجبات فتنسى الغايات الكبرى في الدعوة، من غرس العقيدة السليمة والفقه في دين الله تعالى، والتجرد من الهوى والعصبية.

٨ ــ **ضيق العطن وقصر النظر وقلة الصبر وضعف الحكمة**، ونحو ذلك مما هو موجود لدى بعض الشباب. فإذا انضاف إلى هذه الخصال ما ذكرته في الأسباب الأخرى؛ من سوء الأحوال، وشيوع الفساد، والإعراض عن دين الله، والظلم، ومحاربة التدين ــ أدى ذلك إلى الغلو في الأحكام والمواقف الذي هو من أكبر سمات الخوارج.

٩ ــ **تصدر حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام**، وأشباههم للدعوة بلا علم ولا فقه، فاتخذ بعض الشباب منهم رؤساء جهالاً، فأفتوا بغير علم، وحكموا في الأمور بلا فقه، وواجهوا الأحداث الجسام بلا تجربة ولا رأي ولا رجوع إلى أهل العلم والفقه والتجربة والرأي، بل كثير منهم يستنقص العلماء والمشايخ ولا يعرف لهم قدرهم، وإذا أفتى بعض المشايخ على غير هواه ومذهبه، أو بخلاف موقفه، أخذ يلمزهم إما بالقصور أو التقصير، أو بالجبن أو المداهنة، أو بالسذاجة وقلة الوعي والإدراك! ونحو ذلك مما يحصل بإشاعته الفرقة والفساد العظيم وغرس الغل على العلماء والحط من قدرهم، ومن اعتبارهم، وغير ذلك مما يعود على المسلمين بالضرر البالغ من دينهم ودنياهم.

١٠ ـ **التعالم والغرور**، وأعني بذلك أنه من أسباب ظهور سمات الخوارج في بعض فئات الأمة اليوم ادعاء العلم، في حين أنك تجد أحدهم لا يعرف بدهيات العلم الشرعي والأحكام وقواعد الدين، أو قد يكون عنده علم قليل بلا أصول ولا ضوابط ولا فقه ولا رأي سديد، ويظن أنه بعلمه القليل وفهمه السقيم قد حاز علوم الأولين والآخرين، فيستقل بغروره عن العلماء، عن مواصلة طلب العلم فَيَهْلك بغروره وَيُهْلك. وهكذا كان الخوارج الأولون يدَّعون العلم والاجتهاد ويتطاولون على العلماء، وهم من أجهل الناس.

١١ ـ **التشدد في الدين والتنطع**، والخروج عن منهج الاعتدال في الدين، الذي كان عليه النبي ﷺ. حيث حذر من ذلك في الحديث الذي رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: (**إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلاَّ غلبه**)[١].

والتشدد في الدين كثيراً ما ينشأ عن قلة الفقه في الدين، وهما من أبرز سمات الخوارج ـ أعني التشدد في الدين وقلة الفقه ـ، وأغلب الذين ينزعون إلى خصال الخوارج اليوم تجد فيهم هاتين الخصلتين.

١٢ ـ **شدة الغيرة وقوة العاطفة، لدى فئات من الشباب والمثقفين وغيرهم**، بلا علم ولا فقه ولا حكمة، مع العلم أن الغيرة على محارم الله وعلى دين الله أمر محمود شرعاً، لكن ذلك مشروط بالحكمة والفقه والبصيرة ومراعاة المصالح ودرء المفاسد. فإذا فقدت هذه الشروط أدى ذلك إلى الغلو والتنطع والشدة والعنف في

---

(١) صحيح البخاري ـ كتاب الإيمان، باب: الدين يسر ـ فتح الباري ١/٩٣.

معالجة الأمور، كما هو من خصال الخوارج، وهذا مما لا يستقيم به للمسلمين أمر لا في دينهم ولا في دنياهم.

١٣ ـــ **فساد الإعلام**: الإعلام في العصر الحديث صار ــ غالباً ــ مطية الشيطان إلى كل ضلالة وبدعة ورذيلة، فإن وسائل الإعلام في أكثر البلاد الإسلامية غالباً ما تسخَّر في سبيل الشيطان، وهي من خيله ورجله في الدعوة إلى الضلالة ونشر البدعة والزندقة وترويج الرّذيلة والفساد، وهتك الفضيلة، وحرب التدين وأهله، وبالمقابل فإن إسهام الإعلام في نشر الحق والفضيلة قليل وباهت جداً، ولا شك أن هذا الوضع منكر عظيم ومكر كبّار، ويعد أعظم استفزاز يثير غيرة كل مؤمن وحفيظة كل مسلم، فإذا اقترن ذلك بشيء من قلة العلم والحلم والصبر والحكمة، وغياب التوجيه الشرعي السليم، فإنه يؤدي بالضرورة إلى الصَّلف والقسوة في الأحكام والتعامل، وإلى التشاؤم واليأس عند البعض. لذا فإن علاج هذه الظواهر لن يكون حاسماً إلاَّ بإزالة أسبابها.

* * *

وبعد عرض أسباب ظهور الخوارج وسماتهم في العصر الحديث نعود إلى الحديث عن أهم أصنافهم:

الصنف الأول: جماعة التكفير والهجرة

تُعدّ جماعة التكفير والهجرة نموذجاً لظهور الخوارج في العصر الحديث، وهي تسمي نفسها (جماعة المسلمين).

وقد نشأت في مصر على يد أحد الطلاب الجامعيين في كلية الزراعة بأسيوط (جامعة أسيوط) ويدعى (شكري مصطفى)، وقد تولدت لديه أفكار

الخوارج إثر اعتقاله عام ١٣٨٥هـ تقريباً، وأكثرها تأصل لديه أثناء السجن حتى عام ١٣٩١هـ، تقريباً، وصارت الجماعة تنمو وتتوسع أفكارها نحو الغلو إلى أن قتل زعماؤها على أثر اغتيالهم للدكتور محمد حسين الذهبي.

ولست هنا بصدد الحديث عن أحداثها التاريخية، إنما يهمني الأصول والسمات والمواقف التي هي موطن العبرة، والتي هي سبب الحكم فيهم بأنهم صاروا من أهل الأهواء (الخوارج)، نسأل الله العافية.

أصول الخوارج المعاصرين
(جماعة التكفير والهجرة) وسماتهم[١]

١ ــ التكفير (أصل):

ويشمل ذلك عندهم:

ــ تكفير مرتكب الكبيرة والقول بخروجه من الملة، وأنه خالد مخلد في النار كما تقول فرق الخوارج الأولى.

ــ تكفير المخالفين لهم من المسلمين (علمائهم وعامتهم) وتكفير المعين.

ــ تكفير من يخرج عن جماعتهم ممن كان منهم، أو من يخالف بعض أصولهم.

(١) يراجع في ذلك: الحجيات، وإجمال تأويلاتهم وإجمال الرد عليه (يقصدون أهل السنّة) والتوسمات، والخلافة، (وهذه الأربعة من كتب الجماعة نفسها)، ويراجع: الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو. لمحمد سرور زين العابدين، وذكرياتي مع جماعة المسلمين لعبد الرحمن أبو الخير، ودراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة) للدكتور أحمد محمد جلي، والغلو في الدين لعبد الرحمن اللويحق. والحكم وقضية تكفير المسلم للبهنساوي، والبينة ــ جمال سلطان.

ـ تكفير المجتمعات المسلمة (سواهم) والحكم عليها بأنها مجتمعات جاهلية.

ـ تكفير كل من حكم بغير ما أنزل الله مطلقاً دون تفصيل.

ـ تكفير من لم يهاجر إليهم، ومن لم يهجر المجتمع ومؤسساته.

ـ تكفير من لم يكفر الكافر عندهم مطلقاً.

٢ ـ وجوب الهجرة والعزلة (أصل) ويشمل ذلك عندهم:

ـ هجر مساجد المسلمين وترك الصلاة بها، وترك الجمعة.

ـ هجر المجتمعات المسلمة من حولهم مطلقاً.

ـ هجر التعلم والتعليم، وتحريم الدخول في الجامعات والمدارس.

ـ هجر الوظائف الحكومية، وهجر العمل بمؤسسات المجتمع، وتحريم مزاولة أي عمل فيما يطلقون عليه (المجتمع الجاهلي) وهو كل من سوى جماعتهم.

٣ ـ الدعوة إلى الأمّيّة، ومحاربة التعليم (أصل وسمة):

وذلك بدعوى أن النبي ﷺ والصحابة كانوا أميين ـ إلاّ النادر ـ، وأنه لا يمكن التوفيق بين طلب العلوم الدنيوية، وبين عبادة الله تعالى بالصلاة والصوم والحج والدعاء والذكر وتلاوة كتاب الله والجهاد والبلاغ، وأنه يمكن أن يتلقى المسلم القدر الضروري من العلم الشرعي بالتلقي المباشر دون اللجوء إلى تَعَلُّم القراءة والكتابة، ونحو ذلك من التلبيسات.

٤ ـ القول بالتوقف والتبين (قاعدة التبين) (أصل):

ويقصدون به كما يقصد أسلافهم الخوارج الأولون، التوقف في أمر مجهول الحال من غير جماعتهم (من المسلمين)، فلا يحكمون عليه بالكفر

ولا يحكمون له بالإسلام إلاّ بالبينة، وهي لزوم جماعتهم ومبايعة إمامهم (يقصدون أنفسهم)، فمن أجاب فهو مسلم ومن لم يجب فهو كافر.

٥ ـــ **القول بأن زعيمهم (شكري مصطفى)**، هو المهدي الذي يخرج آخر الزمان ويظهر الله به الدين على سائر الأديان في الأرض (أصل).

٦ ـــ **زعمهم بأن جماعتهم هي الجماعة المسلمة**:

جماعة آخر الزمان، التي تقاتل الدجال، وأن ظهور الدجال ونزول عيسى عليه السلام قد أوشك.

٧ ـــ **القول بتعارض الفرائض (أصل)**:

ويقصدون به جواز إسقاط بعض الواجبات والفرائض الشرعية حين لا يتم العمل بما هو أهم منها إلاّ بذلك.

فزعموا سقوط الجمعة عنهم لأنهم في حالة الاستضعاف وشرطها التمكين، وأباحوا لأفرادهم حلق اللحية لأنها تعوق حركتهم وتعرضهم للخطر!.

٨ ـــ **أصول وسمات بدعية أخرى، مثل**:

(أ) **القول بمرحلية الأحكام**، وأنهم يسعهم ترك بعض شعائر الدين وأحكامه (كالجمعة والعيدين)، وارتكاب بعض المحرمات (كالزواج من الكافرات وحلق اللحى وأكل ذبائح الكافرين) لأنهم في مرحلة الضعف كالعهد المكي.

(ب) **إحداث أصول تشريعية جديدة**، تخالف منهج السلف، وردهم للإجماع ومنع التقليد والاقتداء مطلقاً، وإلزام جميع الناس بالاجتهاد!

(ج) **عدم اعتماد فهم الصحابة والعلماء**، وأئمة الهدى للقرآن والسنّة.

(د) **لا يعتدون بالخلافة الإسلامية من القرن الرابع**، وتكفر هذه العصور.

(هـ) **العنف والحدة في التعامل** (سمة).

(و) **التعالم والغرور والتعالي** والشعور بالتميز عن سائر المسلمين (سمة).

(ز) **استحلال الدماء والاغتيالات للمخالفين** لهم ممن كانوا معهم ويسمونهم (مرتدين) ولغيرهم من سائر المسلمين، لذلك صارت آخر عملية لهم، والتي استهدفت أحد المشايخ، وهو الدكتور (محمد حسين الذهبي) حين خطفوه وقتلوه واغتيالهم لبعض الخارجين منهم عنهم، مؤذنة بنهايتهم، كما هي عادة سائر الخوارج. نسأل الله السلامة والعافية.

(ح) **سرعة التباين والتنازع** والتآكل بين أفرادها.

الصنف الثاني: أهل التوقف والتبين

تعريف التوقف والتبين:

التوقف والتبين من أصول كثير من فرق الخوارج قديماً وحديثاً ويقصدون بالتوقف: (الكف وعدم إصدار الحكم) في أمر من ليس معهم من المسلمين، سواء من الأشخاص أو الجماعات أو الهيئات، من حيث:

الإسلام أو الكفر، والولاية أو البراءة، حتى يتبين حاله أو تقام عليه الحجة.

ويشمل التوقف: إقامة شعائر الدين وأحكام التعامل الأخرى كالصلاة مع الآخرين وخلفهم، وحضور الجمعة والجماعة، والإمامة في الصلاة والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنكاح والطلاق، والمواريث وأكل الذبائح وإقامة شعائر الدين الظاهرة، ونحو ذلك مما له علاقة في التعامل بين المسلم والكافر أو المسلم والمرتد.

وعقائد أهل التوقف والتبين في العصر الحاضر إنما هي امتداد لأقوال بعض فرق الخوارج القديمة (وإن لم يكن ذلك عن قصد أحياناً).

كما أنها امتداد لأصول الخوارج المعاصرين (التكفير والهجرة)، من حيث الجذور الفكرية والعقدية والعملية، بل إن بعض أصحاب التوقف والتبين كانوا ضمن جماعة التكفير والهجرة، ثم تركوها أو تركتهم.

ولم يظهر لي أن أهل التوقف والتبين في هذا العصر يمثلون جماعة واحدة في أصولها ومناهجها، ولا يجمعهم تنظيم أو إمرة، إنما هي نزعات وسمات ومواقف تتشابه، وقد تضم مجموعات صغيرة، أو اتجاهات ومدارس متشابهة في أماكن شتى وأكثرها في مصر، وبين العرب في أفغانستان وباكستان (بشاور وغيرها).

وكما أسلفت في الحديث عن الأباضية، إن الوقوف (أي التوقف) من أصولهم الكبرى، وكذلك هو من أصول التكفير والهجرة، أما من عداهم فإنما يتمثل التوقف والتبين في هذا العصر بمجرد ظواهر وسمات ونزعات واجتهادات ومواقف فردية أو جماعية محدودة ــ على حد علمي ــ وقد يصل أمرهم إلى حد أن تنشأ عنهم فرقة أو فرق إذا لم تعالج هذه الظواهر، والله أعلم.

❑ ❑ ❑

(٤)

من أبرز نزعات أهل التوقف والتبين، وسماتهم

١ ـ غلبة نزعة التنطع والتشدّد في الدين على أفرادها.

٢ ـ الميل إلى التكفير باللوازم، وتكفير من لم يكفِّر على طريقتهم. وقد نتج عن ذلك:

القول بتكفير المجتمعات، أو أنها جاهلية مطلقاً. ومنه القول بأن الأصل في المسلمين اليوم الخروج عن مقتضى الإسلام ـ أي: (الكفر والردة)، وأكثرهم يبالغ في الأخذ بأقوال سيد قطب في جاهلية المجتمعات[١]، والعزلة الشعورية، والبراء، والتركيز على ما يسمونه بتوحيد الحاكمية والمبالغة في ذلك، وتعليق الولاء، والبراء على تحقيق الكفر بالطاغوت ونحو ذلك.

٣ ـ دعواهم القدرة على الاجتهاد ـ مع أنهم ليسوا من العلماء المؤهلين لذلك ـ، وحصر الحق بأنفسهم ومن بوافقهم، ويحاربون أتباع الأئمة مطلقاً. لذلك نشأ عندهم الإعراض عن علماء المسلمين، وترك التلقي عنهم، وعدم اعتبارهم، ونزع الثقة بهم.

---

(١) إطلاق الجاهلية على بعض المجتمعات الإسلامية اليوم بالجملة خطأ من سيد قطب، عفا الله عنا وعنه.

٤ ــ منهم فئات تستهين ببعض أصول التوحيد كالأسماء والصفات، ولا ترى مناقشة الفرق القديمة، كالمعتزلة والجهمية والأشاعرة، بدعوى أنها فرق ليس لها وجود حالياً ــ أي الجهمية والمعتزلة ــ[1]، أو أن المسلمين كلهم أشاعرة!؟ وهذا جهل وخلط.

٥ ــ أكثرهم يعاملون المسلمين في بلاد الإسلام معاملة غير المسلم، إذ يتوقفون في إجراء أحكام الإسلام مع من لم يكن على مذاهبهم. فلا يصلون خلفه، ولا يسلمون عليه، ولا يردون عليه السلام، ولا يشهدون جنازته. وكذا سائر الأحكام في النكاح والمواريث.

٦ ــ امتحان المسلمين في العقيدة، بحيث لا يشهدون لأحد منهم بالإسلام إلا بعد التبين من حاله وإقامة الحجة عليه.

٧ ــ لا يشاركون سائر المسلمين شعائر الدين، كالجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا بحسب أصولهم هم وتحت إمرتهم.

٨ ــ منهم من يستبيح بعض المحرمات، كحلق اللحية، وترك بعض الواجبات، كترك الزكاة بدعوى أنهم في مرحلة الاستضعاف، وأنها أشبه بمرحلة العهد المكي في عهد الرسول ﷺ، وأن صرف الزكاة متوقف على وجود الإمام بحسب شروطهم.

٩ ــ يبالغون في الأخذ بأحكام البراء، والولاء إلى حد التنطع والتشدد.

١٠ ــ كثير منهم يلجأون إلى التقية والإمعان في السرية، لأن عقائدهم وأفكارهم تصادم ما عليه أهل العلم وسائر المسلمين.

---

(١) الجهمية والمعتزلة: لا تزال قائمة تحت مسميات جديدة وقديمة كالرافضة والخوارج والزيدية وبعض الصوفية ومتكلمة الأشاعرة والماتريدية، والاتجاهات العقلانية، والعصرانية، وحزب التحرير، وبعض من يسمون بالمفكرين والمثقفين؛ فتنبه عافاك الله.

١١ ـ قد يلتبس أمرهم على الكثيرين، لأنهم يرفعون دعوى التزام السنّة والجماعة والتبعية لبعض الأئمة المشاهير، كشيخ الإسلام ابن تيمية، والشاطبـي، وبعض أئمة الدعوة السلفية في نجد.

١٢ ـ من أبرز سماتهم: رفع شعار عدم العذر بالجهل مطلقاً، على اعتبار أن الجهل بمقتضيات لا إله إلا الله ولوازمها انقطع إما بالميثاق الأول، أو بدليل الفطرة أو العقل.

١٣ ـ اهتمامهم الكثير بأصول الفقه فيما يخدم آراءهم مع جهلهم بمقتضيات هذه الأصول.

* * *

وبعد: فإن هذه الخصال والظواهر قد لا توجد مجتمعة كلها في فئة بعينها أو شخص، لكن قد يوجد بعضها أو أكثرها لدى بعض الفئات أو الأفراد، ولا يزال هذا الاتجاه بحاجة إلى دراسة أوفى أو معالجة أكبر.



الخاتمة

تنبيهات ونصائح وتوجيهات

وفي الختام، أحمد الله ــ تعالى ــ على أن وفق وأعان على إتمام هذه الدراسة، ولا يسعني في نهايتها ــ بعد شكر الله والثناء عليه بما هو أهله ــ إلا أن أسدي نصيحة خالصة، صادقة إن شاء الله لعامة المسلمين وشبابهم بخاصة، وبصفة أخص أهل هذه البلاد المباركة[1]، حيث لا تزال بحمد الله أسلم من غيرها، فأقول:

يعيش المسلمون اليوم، في جميع بقاع الدنيا، نهضة إسلامية مباركة، وهي بين الشباب أكثر، وكما أن لهذه النهضة جوانب إيجابية كثيرة، وأنها في جملتها أحيت الأمل بين المسلمين، وتحققت بها ــ وستتحقق بها كذلك ــ مصالح عظيمة للإسلام والمسلمين بإذن الله.

إلا أنها ــ مع ذلك ــ قد يعتريها ما يعتري البشر من النقص والخلل والتقصير، وهذا أمر طبيعي يصاحب كل موجات التطور في التاريخ، ولا أدل على ذلك من آخر عهد الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ ، فقد صاحب موجات الفتح العارمة، التي واكبت الفتح الإسلامي الأول لبلاد العراق والشام ومصر، حيث دخلت الإسلام أمم وشعوب وقبائل كثيرة، كلها حديثة عهد بجاهلية وكفر؛ من العرب، والفرس، والروم، والقبط.. وغيرهم. فقد صاحب هذه الموجات نزعات كثيرة من الأهواء والبدع والأحداث

---

(١) أعني المملكة العربية السعودية وما جاورها.

الجسام، كالفتنة على الخليفة الراشد عثمان ــ رضي الله عنه ــ ، وما أعقبها من فتن، وظهور الفرق الأولى: الخوارج، والشيعة (السبئية)، وبدع النساك والعباد، وبدع القدرية؛ وقد واجه الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ والتابعون، وأئمة الهدى، وولاة الأمر هذه الظواهر بالحكمة والفقه والعلم والحلم والحزم والقوة، بحسب مقتضيات الحال.

ومع ذلك فإن هذه الظواهر الشاذة والنزعات البدعية، لم تحجب الخير عن البشرية، فقد صاحب ذلك قيام أعظم حضارة في التاريخ قامت على العلم والجهاد.

وكذلك أمر هذه النهضة الحديثة، فإن وجود النزعات الشاذة بين بعض فصائلها لا يعني فقدان الأمل فيها بل العكس، ولا يعني أنها لن تؤتي ثمارها، بل إن هذه الثمار الطيبة قد بدأت بوادرها في كل مكان، لكن ظهورها المفاجيء مع قلة الموجِّه والناصح، وبُعْد كثير من فئاتها عن توجيه العلماء المباشر، جعلها تعيش مرحلة حرجة هي أشبه بمرحلة الطفولة والمراهقة والتخبط إلى حدٍ ما، ونحن على ثقة ــ بإذن الله ــ بأنها ستتجاوز هذه المرحلة إلى الرشد والتعقل، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

إذن، فالواجب على العلماء وطلاب العلم في الأمة أن يسددوا الأمة، ويرشدوها ويوجِّهوها إلى الخير، وأن يعالجوا الأخطاء التي تنشأ، كما فعل الصحابة والتابعون وتابعوهم.

ومن هذا المنطلق، فإني سأذكر هنا شيئاً مما ظهر لي من بعض الأخطاء التي تحدث من فئات وأفراد وجماعات وتوجهات، من نزعات وسمات تحتاج إلى نظر وتصحيح ومناصحة.

مع العلم أن ذكرها هنا لا يعني الحكم على أصحابها بأنهم أهل أهواء، وأبرأ إلى الله من أن أتهمهم بذلك، لكنها سمات وظواهر ونزعات

وصفات وخصال متفرقة، قد لا توجد مجتمعة عند طائفة بعينها.

كما أني أخشى إن لم تعالج هذه الظواهر، ويناصح أهلها أن تتجارى بأصحابها وتتأصل وتتكاثر، حتى تكون بذوراً للأهواء ــ لا قدَّر الله ــ. هذا ولا يحسن، بل وليس من الحكمة أن يدعي المسلم أنه في مأمن من الأخطاء والأهواء، كيف لا والنبي ﷺ المعصوم كان يقول: **(يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك)**[1].

إذا كان الأمر كذلك، فمن ذا الذي سيدَّعي العصمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وحسبنا الله ونعم الوكيل، اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك.

أما ما تمكنت من استقرائه من نزعات وظواهر وسمات متفرقة، يلزم التنبه عليها، والتحذير من الوقوع بها خشية الوقوع بالأهواء، فأمثل لها بما يلي[2]:

١ ــ تصدر حدثاء الأسنان، وسفهاء الأحلام ــ أحياناً ــ لأمور الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بلا علم، ولا فقه، ولا تجربة، ولا رجوع إلى العلماء وأهل الفقه والتجربة.

٢ ــ هيمنة نزعة الخروج على أذهان بعض الناس، وكثرة الثرثرة بها وإطلاق الأحكام فيها، في حين أنهم ليسوا من أهل الحل والعقد، ولا من الراسخين في العلم الذين يعنيهم الأمر شرعاً.

٣ ــ شيوع ظاهرة التكفير والتبديع بلا ضوابط شرعية، ولا فقه، ولا تثبت،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بألفاظ مقاربة ٤/ ١٨٢، ٤١٨ وغيرها؛ والترمذي في كتاب القدر، الحديث رقم (٢١٤٠)، وحسَّنه؛ وابن ماجه في الدعاء، الحديث رقم (٣٨٣٤)، وصححه العلامة الألباني، صحيح الجامع الصغير (٤٦٧٧).

(٢) أكرر التنبيه والاحتراز إلى أن هذه الأمور قد لا توجد مجتمعة، ولا أكثرها في فئة، أو صنف، أو جماعة، أو شخص؛ إنما هي ظواهر متفرقة، واحدة أو أكثر، وفي أماكن متباينة من العالم الإسلامي.

بما في ذلك الأحكام على الأشخاص والجماعات والهيئات والأنظمة وغيرها والتكفير باللوازم.

٤ ــ التسرع في إصدار الأحكام والمواقف بمجرد الشائعات، والقرائن والظنون، أو اللوازم، وأغلب ما يحدث بين أبناء الأمة الآن من نزاعات وخصومات هو من هذا الباب.

٥ ــ البراء من المخالفين في الاجتهاديات التي يسوغ فيها الخلاف ويعذر فيها المخالف، وأكثر النزاعات الجارية اليوم بين بعض فئات المسلمين ومنسوبي الدعوات من أهل السنّة من هذا النوع.

٦ ــ الحكم على القلوب، واتهام النيات، وتصيد الزلات، وغمط المخالفين حقهم، أو جحد الحق الذي معهم.

٧ ــ كثرة الخصومات والجدل والمراء في الدين، مع قلة العمل الإيجابي المثمر، مع التعالم والتعالي والغرور واحتقار الآخرين من العلماء ومن دونهم.

٨ ــ الخطأ والجهل في منهج الاستدلال، ومنه الاستدلال بالنصوص على غير ما تدل عليه، وعلى غير قواعد شرعية، وإنزال النصوص على غير ما تدل عليه، والجهل بفهم السلف وتفسيرهم للأدلة، وعدم مراعاة قواعد الاستدلال من حيث: العموم والخصوص، أو الإطلاق والتقييد، والنسخ.. ونحو ذلك، وعدم اعتبار قواعد المصالح والمفاسد.. ونحو ذلك.

٩ ــ الجهل بالعلوم الشرعية وقلة الفقه في الدين، والتقصير في طلب العلم الشرعي.

١٠ ــ أخذ العلم الشرعي على غير أصوله الشرعية، وبغير نهج سليم.

١١ ــ أخذ العلم عن غير العلماء، وتلقيه عن الصغار والمثقفين والمفكرين، الذين هم في العلم الشرعي من فصيلة العوام.

١٢ ــ فرض الرأي والموقف على الآخرين، ومصادرة الرأي المخالف، ومحاصرته بكل وسيلة، إلى حد استباحة الوسائل غير الشرعية لمنع الرأي الآخر. مع العلم أن أكثر الأمور التي يدور عليها الخلاف بين أهل السنّة هي من الاجتهاديات.

كما أن مِنْ هذا الصنف مَنْ لا يطيق سماع الرأي المخالف، وإن كان مما يجوز فيه الخلاف، حتى ولو قامت الحجة واستبان الدليل.

١٣ ــ سوء الأدب مع العلماء والمشايخ وطلاب العلم الشرعي، ويتمثل ذلك: بلمزهم واستنقاصهم أحياناً، وبإشاعة ما يسيء إليهم وينقص اعتبارهم عند الآخرين، ويشحن قلوب الناس، والشباب والعوام عليهم، والجرأة على الطعن فيهم والتشهير بهم.

١٤ ــ سوء الأدب والجَفَاء ــ تديناً ــ مع من يجب أو ينبغي احترامهم وتوقيرهم، كالوالدين، والإخوة، وكبار السن، والمعلمين، والجيران، والزملاء، وأهل الاعتبار من الأمراء، والولاة، وذوي الهيئات، والمسؤولين.

١٥ ــ سرعة الاستجابة للفتن، والتصرفات الغوغائية، والجمهرة، والتداعي عند كل صيحة دون الرجوع لأهل العلم والحلم والفقه والرأي، إلا من يوافق هواهم.

١٦ ــ استباحة البدع والوسائل المريبة في سبيل تحقيق الهدف.

١٧ ــ الولاء والبراء على الأهواء والرغبات، وما يوافق المواقف لا على الدليل والسنّة.

١٨ ــ الخوض في المسائل الكبرى، والقضايا الخطيرة، ومصالح الأمة العظمى، التي لا يبت فيها إلا العلماء المعتبرون، والراسخون، وأهل

الحل والعقد في الأمة، مثل تكفير الأعيان والهيئات، والخوض في البيعة والخروج.. ونحو ذلك.

١٩ ــ غرس الغل، وشحن قلوب الناس على المخالفين، ومن ذلك شحن قلوب الصغار والنساء والعوام والغوغاء، الذين ليس لهم حل ولا عقد، مما يفسد ذات البين، ويفتح باب الغوغائية والفتن التي تفسد الدين، وتهلك الحرث والنسل.

٢٠ ــ إهمال جانب المناصحة لولاة الأمور، والتخذيل عن ذلك، وتخطئة من يفعله.

٢١ ــ إدمان الكلام والثرثرة في ما لا شأن للعامة فيه من السياسة والمظالم والأثرة، ونحو ذلك مما أمر الرسول ﷺ بالصبر عليه، ومما لا يمكن معالجته إلا مع ذوي الشأن وأهل الحل والعقد في الأمة من العلماء والولاة، وأهل الرأي والمشورة.

٢٢ ــ استحلال الغيبة باسم مصلحة الدعوة، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أعظم ذلك غيبة العلماء والولاة أو المخالفين من أهل الخير والاستقامة.

٢٣ ــ تصيد زلات العلماء وطلاب العلم والصالحين وإشهارها، والسكوت عن أخطاء أهل الفسق والفجور والزندقة وإغفالها.

٢٤ ــ ضيق العطن، وقلة الصبر، واستعجال النتائج في أمر الدعوة.. وغيرها. مما يبعث روح اليأس والتشاؤم والتصرفات المتشنجة.

٢٥ ــ ضعف الحكمة وقلة التجارب. مما يجعل البعض يقعون في أخطاء وقع فيها السابقون من أمثالهم، فلم يستفيدوا من العبر والدروس، فإن السعيد من وعظ بغيره.

٢٦ ــ نزعة العنف واستعمال القوة، بما في ذلك اللجوء إلى الأعمال غير

المشروعة في سبيل النكاية بالمخالف، كالوشاية، والاستعداء، والبهتان، والمقاطعة؛ وقد يصل الأمر عند بعضهم إلى الضرب والإضرار المباشر.

٢٧ ــ ترك الدراسة في المدارس والمعاهد والجامعات، وتحريمها، أو تحريم العمل في الوظائف الرسمية.

٢٨ ــ تحريم بعض المباحات، والتشدد في ذلك، ومنه التوقف في التعامل مع المسلمين أو الحكم عليهم.

٢٩ ــ الإخلال بمفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأساليبه، أو سلوك منهج المعتزلة والخوارج وأهل الأهواء في ذلك.

وفي الجملة، فإن هذه الظواهر إنما توجد عند القليل من أبناء الأمة، وليست في بلد واحدة، ولا في طائفة أو جماعة دون أخرى، لكنها قد تكثر في جماعة أو طائفة أو بلد، وتقل في آخر، بل ربما يكون شيء منها في طوائف تدَّعي السلفيّة، وأخرى تدَّعي السنّة والجماعة، وثالثة تنتمي إلى فرق هالكة، كالرافضة، والخوارج، والمعتزلة، والصوفية، وأهل الكلام، ورابعة تنتمي إلى جماعات محدثة وشعارات.

هذا.. وأسأل الله لي ولجميع المسلمين وأئمتهم وعامتهم وشبابهم التوفيق والهداية والسداد والرشاد، وأن يوفق ولاة أمورنا وعلماءنا وشبابنا إلى ما فيه صلاح الأمة في دينها ودنياها، وأن يقينا جميعاً الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يوفق جميع المسلمين لسلوك طريق السنّة، ويهديهم سواء السبيل، وأن يجمع كلمتهم على الحق، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

المبحث الثاني

فرقة الأباضية

• • •